الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان أدب عربي

عنوان المذكرة:

الثورة الجزائرية في شعر أبي القاسم سعد الله

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص أدب عربي

إعداد الطالبتين:

- رزايقي نسيمة
- مراكشي بسمة

إشراف الأستاذ:

يوسف بن جامع

السنة الجامعية
2011-2010

شكـــر و عـــرفان:

بداية بحمد الله تعالى وتشكره على توفيقه لنا في عملنا هذا.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل الذي لم

يبخل علينا بتوجيهاته القيمة و نصائحه المفيدة .

فلك ألف شكر يا أستاذنا * **يوسف بن جامع** *.

دون أن ننسى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث.

شكـــر

دعـــــــــــاء

يارب يا ذا الجلال و الإكرام أحمدك الله وأشكرك يا حي يا قيوم يا رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقه قولي .

اللهم أنفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني و زدني علما .

يا رب إذا أعطيتني نجاحا فلا تاخد تواضعي وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي فإذا أسأت إلى الناس يا ربي فامنحني شجاعة العفو ولا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت بل علمني دائما أن الإخفاق هو التجربة الوحيدة التي تسبق الحياة

آمين يا رب العالمين

مقدمـة

حين يفكر الإنسان في الثورة الجزائرية ، و حين تعود به الذاكرة إلى الماضي و الكفاح المسلح تدفعه إرادتـه و تفكيره إلى الحديث عن الثورة أدبا و نضالا وسياسة وكذلك الحديث عن الشعراء الدين تحدثوا وقاموا بتمجيد أعمال المجاهدين و المناضلين في قصائد شعرية تكريما و تخليدا لمجهوداتهم الجبارة من أجل الحصول على الحرية .

ونحن بصدد هذه المجهودات التي قام بها هؤلاء الشعراء الحديث عن الثورة الجزائرية في شعر أبي القاسم سعد الله هذا الشاعر الذي كرس حياته لخدمة وطنه وتحرير بلاده من الظلم والطغيان ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها : الديوان الزمن الأخضر لأبي القاسم سعد الله ، أما بالنسبة للمراجع ، فقد اعتمدنا الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى لعبد الله الركيبي والشعر الجزائري الحديث لصالح خرفي ، وأدب النضال لأنيسة بركات وغيرهما من المراجع.

و قد تضمن بحثا هذا الخطة نفصلها كالأتي :

مقدمة ثم مدخل تطرقنا فيه إلى احتلال فرنسا للجزائر ثم الأساليب التي اتبعتها فرنسا لاحتلال الجزائر ثم مجازر فرنسا في الجزائر (مجازر الثامن ماي) و بعدها اندلاع الثورة التحريرية الكبرى.

أما الفصل الأول فتحدثنا فيه عن الثورة التحريرية في الأدب عموما وفي الشعر بالخصوص و بعدها التعريف بأبي القاسم سعد الله.

ثم قمنا بتقديم بسيط لما يحتويه ديوان الزمن الأخضر .

أما الفصل الثاني فخصصناه لتجليات الثورة في دواوين الشاعر سعد الله ثم أهم القضايا التي تناولها في شعره ثم انتقلنا إلى مظاهر التجديد في شعر أبي القاسم سعد الله وفي الأخير قمنا بدراسة أهم جوانب جمالية النص الشعري في ديوان الشاعر سعد الله و قد تطلب منا هذا البحث جهدا كبيرا رافقه عوائق وصعوبات منها ما تعلق بالمراجع وقلتها أحيانا و صعوبة الحصول عليها أحيانا أخرى .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف على تعاونه وتوجيهه ونصائحه وصبره الكبير علينا.

وكل ما نتمناه هو التوفيق من عند الله أولا و أخيرا ، و الحمد لله الذي بفضله وفقنا و لو بقدر ضئيل إلى ما فيه الخير و الفلاح إنشاء الله .

المدخل

علاقة التاريخ بالأدب

1- المدخل:

1-1 احتلال فرنسا للجزائر :

ليس باستطاعة الشهود على التاريخ العالمي الحديث، أن يمروا دون أن يسجلوا تلك المآسي التي أحدثتها أوروبا حينما سمحت للمكون السياسي و العقائـدي والعسكري فيها أن يبعث بالإنسانية، لقد راحت أوروبا تجوب الدنيا احتلالا وسفكا للدمـاء إلى أقاليم عديدة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينيـة، ويجب أن لا ننسى أن ما لحق بها من جهل وفقر وصراع و فوضى وحروب أهلية، إنما كان سببـه الأكبر أوروبا التي اختارت لنواياها الاقتصادية والعسكرية والصليبية سلوك القهر، وعز القارات، ومع أوروبا تأتي فرنسا التي تمثل النموذج الخاص لاستعمار بشع وسيبقى سلوكه مائلا في ذاكرة الأجيال الجزائرية.

هذا الإستعمار البشع الذي سلط على بلد مليء بالخيرات، بلد وحضارة عميقة ملتزم بمقومات عربية محافظا على الدين الإسلامي ،" بالرغم من العلاقات الودية التي كانت بين الدولتين، باستثناء فترة الحملة الفرنسية على مصر"[1]، لكن بالرغم من هذه العلاقات الطيبة إلا أن فرنسا قد دخلت على الجزائر بوحشية لا مثيل لها، وقد تجسدت وحشية الفرنسيين، من خلال المكون السياسي والعقيدي والفكري والعسكري، إنها أربعة وسائل للظلم والقهر التي استعملتها فرنسا، فكانت تمثل أفضل نموذج للاستبداد إذ أعلنوا بدأ الاحتلال عام 1830 " بابتهاج قائلين: أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر الاه غير المسيح".[2]

1 - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث: بداية الإحتلال عالم المعرفة الجزائر،طبعة خاصة2009، ص13.

2 -صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د.ط 1984.ص11

أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا، إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فإننا لا شك في أنها قد ضاعت"[1]. وبهذا تعتبر الجزائر أكبر بلد تعرض لأعنف إستعمار عرفته البشرية.

2-1 الأساليب التي اتبعتها فرنسا لاحتلال الجزائر:

قامت فرنسا بتجريد الشعب الجزائري بخيراته وتجويعه، وحرمانه من أبسط الحقوق " ومن الصور التي توضح وحشية المستعمر وبشاعة جرائمه أنه عمد إلى تلغيم الطرقات وكانوا بارعون بكل شك في تعذيب الشعب الجزائري وتعريض جسمه إلى عمليات التشويه".[2]

وأيضا قامت بطمس معالم الهوية الجزائرية، وإذابة الإسلام، وجعل الجزائر بلدا مسيحيا كما حاولت تذويب إنتمائه التاريخي، وكذلك محو اللغة العربية، وتعليم الشعب اللغة الفرنسية حتى يثنى لها البقاء على أرض الجزائر.

" كما لجأ الفرنسيون إلى وسيلة الإبادة، وارتكبوا توحشا لا مثيل له فأمكن فرنسا أن تستولي على الجزائر، وتبعد العنصر الإسلامي على الحكم"[3]. ومن الصور التي توضح جرائمه الشنيعة، إنه عمد إلى تلغيم الطرقات، كذلك نشر التفرقة بين أبناء الوطن، ونشر الخرافات والأباطيل، لتضليل الشعب الجزائري، أيضا قام بعمليات التبشير التي كانت مرتكزة مناطق معينة، من الوطن، وهذه العملية كانت تستهدف الشعب جسما وروحا بمحاربة الإرهاب" فقد أدركت أن الخطر عنها لا يزول بإبادة الجسم وحده فطاردت الإثنين معا".[4]

فالفرنسي لم يكتف بقهر الجزائريين من الناحية الإجتماعية والثقافية فقط بل إمتدت إلى الإقتصاد الجزائري حيث صدرت كل خيرات الجزائر، وتحول الشعب الجزائري إلى جائع

1 - صالح خرفي: نفس المرجع ،ص11.

2 - شريبط احمد شريبط: دراسات ومقالات في الادب الجزائري الحديث ،منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية 2007،ص90

3 - محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري: سحب الطباعة الشعبية للجيش الجزائري د–ط2007 ،ص261

4 - صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث ص12.

متشرد،" لهذا فقد عرفت في تلك الفترة إنتشارا رهيبا للمجاعة والأوبئة وتحولت يوميات الشعب الجزائري الطاهر إلى يوميات قهر واستعباد وحرمان".[1]

على الرغم من أن الجزائر كانت قوة بحرية، تسيطر على غربي البحر الأبيض المتوسط، لكن هذا الاستعمار جعلها لا تقوى على الحراك" ففي 1830 بعثت فرنسا بحملة عسكرية ضدها نتج عنها إستيلاء الجيش الفرنسي على مدينة الجزائر".[2] وبهذا أحسن الشعب الجزائري أنه غريب عن بلاده، وأغلب الجزائريين أغلقت في وجوههم أبواب المعيشة وأصبح الفقر يطاردهم و المجاعة تنهبهم.

وهذه الوحشية لم تنتهي بخروج فرنسا بل بقيت طيلة السنوات الثلاث،بعد الإستقلال، ويتجلى ذلك في معاناة الشعب الجزائري من أرامل ويتامى وكذلك المعطوبين والمشوهين جسديا والمضطربين عقليا، ولهذا فقد عاش الشعب الجزائري." إرهاصات من البعث القومي في أواخر القرن الماضي بنوع من اليأس والإنطواء النفسي الذي تولى على مر السنين من فشل الثورات المتلاحقة وتسلط المستعمر".[3] وبهذا فقد عرفت الجزائر أكبر الهزات في الفترة الممتدة بين 1930–1945، الوطنية، والعالمية.

3-1 مجازر فرنسا في الجزائر: " مجازر الثامن من ماي المشؤوم":

قامت فرنسا بإحتفال مرور مائة عام على إحتلال الجزائر، وهذا الإحتفال الذي أقامه الإحتلال الفرنسي إحتفالا، زاد في قهر الشعب الجزائري، وأثار الغضب والعنف في قلوب العلماء والمفكرين، وقد كان عاملا قويا في مضاعفة الحركة الوطنية، ومن هؤلاء الأستاذ أحمد توفيق مدني والذي عبر عن إحساس الشعب الجزائري أثناء الإحتفالات قائلا:" لقد

1 - بشير بلاح : تاريخ الجزائر المعاصر1830–1989 الجزء1:دار المعرفة د–ط:ص391

2 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر : الجزء 1 دار البصائر الجزائر د–ط ،ص 243

3 - أنيسة بركات درار : أدب النضال في الجزائر (1945 حتى الاستقلال) ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، د–ط ص17

أعاننا على عملنا ومهد لنا السبيل لتلك الأعياد الهوجاء، التي أقامها الإستعمار سنة 1930، إحتفالا بمرور مائة عام على إحتلال القطر الجزائري ، فلم يبق جزائري إلا وأحس بفتح ذلك الجرح الدامي الجديد....."[1]فهذا الإحتفال زاد في جرح الشعب الجزائري وتعذيبه.

ومن خلال هذه الإحتفالات كانت فرنسا تسعى إلى تكوين جماعات منفصلة تماما على الشريعة الإسلامية ، والهوية الوطنية، وكذلك لذيها وسائل أخرى لتدمير الشعب الجزائري، ألا وهي نشر الخلاف بين العناصر الجزائرية ، وهذا ما أدى إلى ظهور مجازر مأساوية، قامت بها فرنسا في الثامن ماي ألف وتسعة مائة وخمسة وأربعون، هذا الحدث البارز الذي لايزال في أدهاننا والذي أحدث إنفجارا شديدا في الأمة الجزائرية، وقد كان حادث تاريخي هام" وقد كان العالم يحتفل بإنتهاء الحرب العالمية، وأرادوا الجزائريون أن يشاركوا في هذا الإحتفال"،[2] وقد أرادوا أن يظهروا مشاعرهم ويبنوا أهدافهم الوطنية خاصة وأن فرنسا قد وعدتهم بالإستقلال والحرية.

قام الشعب الجزائري بمظاهرات رفعوا فيها أعلام بلادهم لكن هذه الفرحة ، لم تدم طويلا، فقد تحول المشهد مذبحة دامية أسفرت على قتل خمسة وأربعون ألفا من الجزائريين ، ومن هنا أدرك الشعب الجزائري أن الآمال التي كان يراها في فرنسا قد أضحلت ورأى بعينه مدى وحشية هذا الإستعمار، وأدركوا أن هذه الوحشية لن تزول ولن يقضي عليها إلا بالجهاد، فلقد لجأت سلطات الإحتلال في هذه المظاهرات إلى "سياسة السلب، والنهب لكي تبقيها في يدها لإرهاق الشعب و الحط من شأنه والنزول به إلى درجة الحيوان ".[3] وهذه السياسة كانت تمثل كلا متكاملا إستهدفت جمع مقومات مجتمعنا فلم يتبقى منها جانب واحد.

1 - أنيسة بركات درار: ادب النضال في الجزائر ص 18.

2 - المرجع نفسه ص166.

3 - جمال قتان : قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر منشورات المتحف الوطني للمجاهد:د- ط ص117.

فنهض الشعب الجزائري إلى العنف المباشر والنضال من طرف المجاهدين وقد قاموا بالثورة المسلحة، خاصة وأن الإمام الإبراهيمي قد وصف هذه الأحداث باليوم المشؤوم".[1]

4-1 اندلاع الثورة التحريرية الكبرى

بعد الحوادث المأساوية التي سلطت على الشعب الجزائري من طرف المستعمر الفرنسي والذي كان السبب الرئيسي فيها" التي تظل راسخة في الذاكرة مدى الزمن سواء كانت ذاكرة الفرد أو ذاكرة الشعب".[2]

1 - أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر،ص35.

2 - عبد الله الركيبي : ذكريات من الثورة الجزائرية 1954–1958 المؤسسة الوطنية للكتاب د–ط الجزائر ،ص27.

أعلنت جبهة التحرير الوطني للشعب بدء ثورة مسلحة" وقد قامت الثورة الجزائرية بوضع حد فاصل بين عهدين من المفاهيم و الرجال والأحزاب".[1]

وقد حددت مفاهيمها وأهدافها، ومطالبها، ودعت إلى تأييد هذه الثورة والتطوع في صفوف الجيش لخوض الحرب فاستجاب الشعب الجزائري لهذا النداء ، بعدما طال إنتظاره، قرنا وسنتين مرارا، ولهذا نستطيع القول بأن الجزائر خرجت إلى الوجود وبرزت مكانتها في ليلة نوفمبر، حيث إنطلقت على ارض الجزائر أول رصاصة في وجه المستعمر، وهذا الحدث شمل جميع بقاع الوطن واستمر طوال الليل" فنوفمبر كما ندرك جميعا يعتبر نقطة تحول في تاريخ أمتنا ووطننا بجدية حدثه وأهميته".[2] وحين نذكر هذه الثورة أو تعود ذاكرتنا إلى هذا الحدث العظيم أو إلى الكفاح المسلح،أو عندما يحاول أحدنا أن يؤرخ للثورة الجزائرية أو حين " يتخيل هذا الماضي أو يتجه إلى هذه المنطقة أو تدفعه إرادته وتفكيره إلى الحديث من الثورة نضالا أو أدبا أو سياسة حين يتأمل هذا أو يسترجع الذكريات يتجه تلقائيا إلى الأوراس ".[3] هذه الجبال الشامخة والقمم العالية إقترن إسمها بالثورة الجزائرية وبثورة نوفمبر العظيمة.

فمن هذه الجبال إنفجرت ثورة نوفمبر ليذوق الإستعمار مرارة ما فعلـه بالشعب الجزائري ولتكتب صفحة جديدة لمستقبل الجزائر، ويطوى صفحة الماضي الملطخة بالدماء.

وليبدأ غد جديد مليء بالنضال و التضحية ، وذلك حدث من تلك الجبال التي حمت الثورة وأبناءها، الذين ناضلوا من أجل الشعب الجزائري الذي تعرض للدمار والخراب والطغيان من طرف المستعمر الذي كان، يحرق القرى و السكان وهذا ما ولد لدى الشعب الجزائري إرادة واحدة تقاوم الظلم والطغيان والعبودية، ولهذا يمكننا القول بأن الجزائر مرت بفترة عصيبة أثناء الاستعمار الفرنسي، ولولا الثورة المباركة لظلت الجزائر تحت ظلم الاستعمار إلا أن

1 - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، عالم المعرفة الجزء الثالث ط2009 ، ص 9.

2 - العربي دحو : تقاربات في ديوان العرب الجزائري دار العهد للطباعة و النشر ط2 ، ص64.

3 - عبد الله الركيبي :الاوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى ، دار الكتاب العربي د–ط ،ص11.

هناك من الشعراء من سخروا شعرهم للدفاع عن هذا الشعب الجزائري وكان منهم أبي القاسم سعد الله الذي دافع عن الجزائر ، وساند الثورة المباركة أينما أحل وأرتحل وهي في قلبه رغم غربته عن البلاد." فالشعر الذي يدعوا إلى الثورة ويمهد لها، ويلهب نارها، ويسمع دويها، ويدفعها إلى الأمام ويخرجها من ظلام الظلم إلى صياد الحق ويجعل منها واقعا فعليا بعد أن كانت فكرة وحلما، وهو الذي نسميه– ثورة الشعر–". فالشاعر قد دافع بشعره عن وطنه وصمد في وجه عدوه وأعلن ثورة شعرية على العدو المستعمر.

الفصل الأول

الأدب و الثورة

1-2 الثورة الجزائرية في الأدب عموما وفي الشعر بالخصوص.

الجزائر كما للأمم الأخرى حضارة، ومجد، وتراث أدبي وعلمي يربط حاضرها بماضيها، وتبنى عليه مستقبلها وهو ضمان لحفظ كيانها ودعم بنيانها.

لكن كثير من الأدباء العرب يجهلون أن للجزائر شعراء، و أدباء عباقرة كتبوا عنها، وعن ماضيها، وعن شعبها المناضل الذي كافح بجد أثناء الثورة التحريرية الكبرى، فالثورة اعتبروها إحدى المفاهيم الخاصة التي تفرقت بشأنها الأفكار وتناثرت" و السبب يعود إلى الفهم الحضاري السليم الذي غاب عن الأنظار". [1]

إذن فالثورة في المفهوم الأدبي العام تعني الإستعداد الحضاري العام و الشامل الذي يقوم به الإنسان لإنجاز المهام الكبرى التي تؤهله للسيادة، فالثورة بهذا المعنى لا تقوم على العبث وليس مبنية على الصدفة، بل هي تتجه لتغير الحياة و الظروف التي يعيشها الإنسان أو يمكن أن نقول أنها حركة تغيير شاملة قام بها الإنسان لإبراز نفسه و أهدافه لأنها تعتمد على الروح و العقيدة.

كذلك هو الحال في الثورة الجزائرية، فهي لم تنبثق من صراع بين أفراد المجتمع بل هي نتيجة كفاح هذا الشعب ضد العدو المستبد .

ولهذا نستطيع الرد على من قال أن ليس في الجزائر أدب وإنما ثورة ومعركة وتقول بأن للجزائر أدب، فيها نثر و شعر يجهله الكثير من أبناء العروبة" يجهله حتى الأدباء الكبار الذين يتزعمون حركة الفكر و الأدب في العالم العربي ".[2] إذ أنهم لم يعرفوا عن أدب الجزائر سوى القليل منه، وهذا بعد أن ترجمت بعض الأعمال باللغة الفرنسية.

1- عمر بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، دار الكتاب للطباعة و النشر ، ط خاصة 2010.

2- عبد الله الركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ، ص14.

فالثورة إذن فتحت للأدباء أبوابا عظيمة، من النشاط الإبداعي ،لقد كانت السبب في نهوض الأدباء ، وأنارت طريقهم ، فساعدتهم على محاربة الجهل و الأمية" وأيضا أهابت بهم إلى عالم جديد وحررت أفكارهم وتعابيرهم من قيد الجمود".[1] ، فأصبحنا نلمس في كتاباتهم قضايا تتناول الثورة، كذلك مواقف من دفاعهم عن بلدهم، فالثورة موجودة في كل الأنواع الأدبية الجزائرية.

لكن عندما نريد أن نعرف أدب أمة ما يجب أن نعرف ظروف شعبها، ونحس بآلامه، فالأدب الجزائري سواء ما كتب بالعربية أو بالفرنسية" هو صورة صادقة لهذه الحقيقة".[2] الحقيقة القاسية و المؤلمة للشعب.

فالحديث مثلا عن القصة الجزائرية كنوع أدبي جزائري هو الحديث عن الظروف الإجتماعيــة والسياسية للجزائر طوال فترة الاستعمار، لذا نجدها قد تأخرت في الظهور بسبب الظروف الصعبة التي تعيشها الجزائر تحت الضغط و القهر العسكري.

وقد نشأت القصة على يد رجال الاصلاح لمقاومة المحتل و من بينهم محمد بن العابد الجلالي، محمد السعيد الزاهري، لدرجة أنها سميت بالقصــة الإصلاحية، وكان هؤلاء المصلحين يشيرون إلى أهمية الحرية في قصصهم، وعند قيام الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر، التحقت القصة بدورها بالجبل تعايش الثورة وتكتب عنها، وعن الثوار كيف يدافعون عن بلدهم.

ومن القصاصين الجزائريين الذين تفرغوا للثورة وكتبوا عنها ولم يهتموا بأي موضوع سواها هم: عبد الله ركيبي، محمد الصالح الصديق، عبد الحميد بن هدوقة، أبو العيد دودو الطاهر

1 – محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، ص345.

2– عبد الله الركيبي : دراسات في الشعر العربي دراسات أخرى ، ص179.

وطار، وأحمد رضا حوحو،.....وغيرهم ، وقد استعملوا أشكال فنية مختلفة من الآداب العربية و الأجنبية للتعبير عن الثورة.[1]

وقد صورت القصة أبحاث وبطولات الشعب الجزائري أمام المستعمر، وتصوير بطولات المناضلين و التعبير عن الحياة الإجتماعية الجديدة كما صورو لنا المعارك بدافع وطني عليه إحساس بالواجب.

وإلتزام بتصوير كفاح الشعب فقد كان " للثورة التحريرية تأثيرها المحسوس في مجال الثقافة عامة و في القصة بصورة خاصة، فقد فجرت في الأدباء الحماس ليكتبوا عن نضال الشعب الجزائري، وعن الحرب التي خاضها من أجل كرامته وتحرير بلاده".[2]

فالثورة جعلت المجال واسعا لكتاب القصة فقد عالجوا القضايا السياسية و الثقافية و الإجتماعية، وعبروا عن الواقع المر الذي يعيشونه، فهم بهذا أرادو أن ينبهوا الشعب الجزائري إلى هذه الأوضاع ويوقظوه من غفلته حتى يشعر بالمأساة التي يعيش فيها.

كما كتبوا أيضا الأدباء القصاصين، عن المجاهدين وانتصاراتهم كذلك عن المرأة ومشاركتها في الثورة، وعن فضائح الإستعمار كذلك عن الخونة الذين خانوا بلدهم وارتموا في أحضان فرنسا.

هذا فيما يتعلق بالقصة الجزائرية ، أما بالنسبة إلى فن جزائري آخر و هو المسرحية، فقد كان لجمعية العلماء المسلمين دورا بارزا في نشر الدعوة الإصلاحية و المحافظة على القيم الروحية وقد كانت تستعمل المسرحية كسلاح لذلك، ولقد ظهرت المسرحية في الجزائر بتأثر المثقفين الجزائريين بالمسرحيات العربية لكن كان اتجاه المسرح الجزائري تثقيفيا وتهذيبيا أكثر منه ترفيهيا.

1 -pothways – news.com/ news/n Detoits.aspxnidm104290

2 - أنيسة بركات : أدب النضال في الجزائر ، ص 180.

ولقد ظهرت أول مسرحية بعنوان" بلال" كتبها الشاعر محمد العيد.

كذلك كان أحمد رضا حوحو و الذي يقدم مسرحياته بأسلوب ساخر ونقد حاد للأوضاع الإجتماعية و السياسية ، لقد كان يستعمل المسرح لإيقاظ الشعب الجزائري.

وأصدر أيضا مصطفى الأشرف مسرحية بعد إندلاع الثورة بشهر عنوانها" الحاجز الأخير" تجري حوادثها في شهر ديسمبر 1954، تحدث فيها عن نضال المرأة الجزائرية.

ولم تؤثر الثورة الجزائرية في هذه الأنواع الأدبية فحسب بل إمتدت إلى جميع أنواع الأدب الجزائري.

وبهذا يمكننا القول بأدب الأدب الجزائري ساير الواقع الجزائري وكان دعوة ملحة إلى النهضة و الأخذ بأسباب الرقي و التقدم، وان الأدباء ساهموا في هذه الحركة فراحوا يعبرون عن آلام الشعب وطموحه .

وبالرغم من الظروف القاسية التي عاشتها الجزائر، إلا أن الأدب الجزائري لم يضعف ولم يضمحل، وبقي متمسكا حتى النهاية وكانت كل الكتابات تدافع عن الثورة، ولهذا كان هذا الأدب موضوع نقاش أبو القاسم سعد اللهفي العديد من التقنيات التي يعقدها حيث قال:" إن الأدب بإعتباره يمثل الإنطلاقة الشعورية العالية في ثقافة ما بأنه يحتاج دائما إلى الصقل و التجديد وبالمناقشة و النقد، حتى لا يتجمد ويصبح يدور حول نفسه" .[1] ، و من هنا يمكن القول بأن الثورة استطاعت أن تنير عقول الجزائريين وتدفع بهم إلى الأمام وتجعل بين أيديهم، سلاحا يدافعون به عن أنفسهم، وعن مقوماتهم، لأنهم السنة الشعب.

فالأدب جعلهم يتغلبون عن خصمهم، ويطردوه من بلدهم فهم شعروا بتغيير جديد في حياتهم، كما قال محمد الهادي السنوسي الزاهري" شعر شعراؤنا بحياة جديدة فنفضوا أيديهم من

1 - أبو القاسم سعد الله : تجارب في الأدب و الحلة عالم المعرفة ، ط 3 ، ص 31.

ذلك الأدب البالي المشوه بلغة التأليف ونفروا إلى الأدب الغض وعلى أمثال هؤلاء نعلق آمالنا في تحديد الأدب الجزائري ورفع مستواه".[1]

وبهذا الأدب استرجعت الجزائر قواها وصمدت حتى النهاية لتكون عبرة لكل الدول، و أن الإستعمار لن يهدم بنيانها.

لقد تحدثنا فيما سبق عن أهمية الثورة الجزائرية ومدى تأثيرها في الأدب الجزائري عموما، ونأتي الآن إلى أهميتها في الشعر، وكيف تبدوا هذه الثورة نظر شعرائنا، لكن قبل أن نغوص في هذا الأمر علينا أن نعرج قليلا على مفهوم الشعر بصفة عامة، وماذا يعني هذا النوع الفني الأدبي؟

إننا نجد في قول إبراهيم رماني عن الشعر أنه " صياغة جمالية الإيقاع الخفي الذي يحكم تجربتنا الإنسانية الشاملة، وهو بذلك ممارسة للرؤيا في أعماقها.... إنه مغايرة لنشر الذي قوامه العقل و المنطق و الوضوح .....ويؤدي وظيفة بلاغية مباشرة"[2].

فالشعر لا بد أن يكون مصورا للعاطفة، ويكون تعبير صادق عن شعور الفرد، وانه كل ما هز السامع سواء كان عاطفة أو وصفا أو فلسفة، " فالشعر تعبير صادق عن الشعور لا تقليدا لما قاله الآخرين"[3].

ولهذا فيجب على الشاعر أن يشعر بالآخرين، وأن يكون شعره فيه دعوة وإرشاد، والشعر عامة نجده يتناول مواضيع متعددة ونجد فيه أغراض عدة، لكن عندما ننظر إلى الشعر الجزائري نجده مليء بالألفاظ الثورية ، التي تدافع عن الشعب الجزائري، حيث نجد الشعراء

1- محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج2 ، منشورات السائحي ، الجزائر، ط2، ص16.

2- إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية الجزائر د–ط– ص107.

3- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي– دار الجيل –بيروت، د–ط، ص421.

يتأملون واقع المجتمع ويصورون ما آلت إليه الجزائر وسوء حالة الشعب تحت وطأة الإستعمار، وأيضا كفاحه المستمر من أجل إستعادة حريته وكرامته.

فإندلاع الثورة الجزائرية كان لها أثر كبير على شعراء الجزائر، لقد غيرت فكرهم كذلك نظرتهم إلى الحياة و إلى الشعر بالخصوص، إذ نجدهم لا يهتمون إلا بالقضايا التي تخص وطنهم، حيث نجدهم إبتعدوا عن الشعر الذاتي، وأصبح شعرهم موضوعيا، يصور سيرة الإستعمار الفرنسي وهو ينشر الظلم و الطغيان ويحشد كل وسيلة همجية لموت الشعب الجزائري وإندثاره وكذا "لإدماجه في وطن فرنسي صليبي وفقا لقانون الأبوية الذي إتسم به الإستعمار الفرنسي"[1].

لهذا نجد أغلب الشعراء يحاولون تطوير كيانهم الفكري و الأدبي كذلك الوجداني حتى يستطيعون الرد على المستعمر لان قوة السلاح لا تكفي، فكان عليهم أن يفكروا في طريقة أخرى تضعف المستعمر وتقضي عليه، ولأن الشعر يعتبر تعبيرا صادقا عن حياة الشعب.

فقد إختاره الشعراء وسيلة لكي يطالبوا بحقوق الشعب ولكي يقفوا في وجه المستبد الظالم.

لهذا فالشعر يتطور وفقا لتطور الشعب الجزائري، من إنطوائية في أول الأمر إلى دعوة وعمل" ثم إلى يقظة و إنتباه وأخيرا إلى ثورة وإنطلاقة جديدة"[2]. فالشعر الجزائري مر بنفس المراحل التي مر بها الشعب فهو شعر شعب وليس شعر طبقة أو حزب خاص.

وإنما يعتبر لسانا صادقا يعبر عن آلام الشعب وطموحه، ولهذا نجد الشعر الجزائري يخلو من بعض" الأرستقراطية البغيضة".

1 - عمر بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، ص7.

2 - عبد الله لركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري ، ص17.

و التي تبدوا عند الكثير من الشعراء الذين كانوا يخصصون شعرهم للتغني بأشخاص معينين، وهذه الصفة لا نجدها في الشعر الجزائري فهو ينحصر في القصائد الوطنية و السياسية التي تتناول قضايا الشعب ويبتعد كل البعد عن القضايا الذاتية، وكل هذا مستمد من حياة الحرمان و الكبت التي عاشها الشعب الجزائري طيلة الحكم الإستعماري.

وحينما اندلعت الثورة التحريرية الثورة التحريرية الكبرى " أزكت العواطف وهزت المشاعر و الأقلام التي كانت من قبل مكبوتة وفتحت أمام الشعر آفاقا"[1]، وهذه العواطف تفجرت نتيجة الضغوط التي يعيشها الشعب.

وإذا كنا نلحظ أن في الشعر الجزائري، روحا تشاؤمية، فذلك لأنه يدعوا إلى الثورة و النضال، يضاف إلى هذه الميزة ميزة أخرى وهي أنه شعر حماسي، شعر ثورة وغليان على الجهل و الفقر و المرض فروح الثورة أصيلة في روح الشعب الجزائري.

ولهذا فلابد لمن يتصدي لدراسة الشعر في الجزائر أن يتعرض للعوامل التي ساهمت في تطويره، أو بالأحرى الظروف التي مر بها الشعب الجزائري ليدرك مدى تعبير هذا الشعر عن روح الشعب، وما يمكننا القول عن شعر هذه الفترة أثناء فترة الإحتلال، هو أنه تأرجح فيها بين الضعف و اليأس مرة وبين الأمل و القوة مرة أخرى، فلم يعرف في تلك الفترة إلا الشعر الوطني الذي يتغنى بالجزائر وهذا بسبب الحصار الذي أقامه الإستعمار ليمحو الجزائر من سجل تاريخ المغرب العربي مهما كان الثمن.

هذا الخمود الذي تعرض له الشعر جعله يتجه إلى العزلة و الإنطواء وهذا ما جعل الشعر الجزائري يأخذ أنواعا عدة نذكر منها:/

1 - المرجع السابق ، ص17.

أ/ شعر الإنطواء: الذي إتجه إلى العزلة على الذات وإجترار الأحزان في صمت دائم، وفي هذه الفترة، ظهرت المدائح النبوية ولجأ الشعراء إلى إنشاد شعرهم في صمت وفي حالـة من الهدوء، ويترقبون رحمة الله، ومن الملاحظ على هذا الشعر هو خلوه تماما من الأغراض الشعرية القديمة(العزل – الفخر.....)[1].

ب/ شعر الدعوة: الهدف منه هو دعوة الشعب الجزائري إلى النهوض و الكفاح ضد المستعمر.

إذ لابد له من عمل جدي يخرجه من المحن التي يعيش فيها،" ولهذا وفي هذه الفترة بالذات ظهرت معظم الحركات الوطنية و الإصلاحية وانتشرت الدعوات"[2]، تنادي بالنهوض كذلك بالتحرك و التحرر من هذه القيود التي رزح تحتها الشعب الجزائري أجيالا طويلة، مهمته أن يدعو الشعب إلى الكفاح وخوض المعارك لنيل حريته.

ولكي يحطم قيود الاستعمار، " فالشعراء الجزائريون أرادوا أن يجعلوا من دواوينهم سجلا للثورة ووقفوا موقف المشترك المنفعل بأحداثها"[3]. فالشعب أراد أن ينادي بالحرية بكل صراحة وينادي بتحقيق مطالبه، وقد جاء الشعر ليعبر عن كل هذا، ولهذا سمي بشعر الدعوة لأنه يدعوا إلى نبذ الخلافات وتحقيق الحرية و العدل، وقد كتب في هذا الشعر شعراء كثر نذكر منهم رمضان حمود الذي دعى الشعب ليسير إلى العلاء، ولن ننسى أن هذا الشعر أنه لا يخلوا من التشاؤم و الشكوى.

ج/ شعر اليقظة: و الذي كان سبب ظهوره هو حوادث الثامن ماي ، فـي هذا الحدث العظيم و الدامي تحركت مشاعر الشعراء ورأوا كيف يهان الشعب الجزائري وكيف تداس كرامته، ولهذا نهض أغلب الشعراء إلى توعية الشعب ومساندتهم" فكانت هذه مرحلة جديدة في الشعب و في

1 - أنيسة بركات : أدب النضال في الجزائر، ص 100.

2 - عبد الله الركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ، ص19.

3 - أنيسة بركات : أدب النضال في الجزائر ، ص66.

حياة الفكر و الشعر". لهذا سمي بشعر ، فالشعب قد سئم من الشكوى من هذا العدو الذي لا يرحم و لايحس، ولهذا وجد الشاعر نفسه مسؤولا على حمل هذه الآلام و التعبير عنها ليحقق عن شعبه القليل من العذاب، و إستطاع بقلمه وألفاظه أن ينهض بالشعب الجزائري ويوقظه من الحلم الذي طال فيه، ويبين له أن فرنسا لن تعطيه الإستقلال فعليه أن يكافح وان يصمد في وجهها من النهاية.

لهذا فالشاعر استطاع تحقيق أهدافه وقد نجح أيضا في تصوير مأساة الشعب إبان الإستعمار فقد كتب في العديد من القضايا و الأحداث التي مرت بالجزائر، منها أحداث الثامن من ماي ألف وتسع مائة وخمسة وأربعون"فالشعر كان دائما يقف إلى جانب الشعب[1] .

كتبوا أيضا عن الأوراس فهي لها أهمية كبيرة في الشعر الجزائري، فحين تفجرت الثورة إتجه الشعراء إلى الأوراس وكتبوا عنه ورددوا إسمه في جميع قصائدهم، فبعضهم تحدث عنه حين تحدث عن ساعة الصفر "ليلة نوفمبر منهم" محمد الصالح بادية" فالأوراس تعد رمز للقيم النبيلة"[2] .

وليس شعراء الجزائر وحسب كتبوا عن الأوراس فهناك العديد من شعراء العرب الذين تحدثوا عنها في شعرهم فهم يعتبرون أن الجزائر جزء من الأمة، و أن نصرها هو نصر للعرب جمعها، منهم الشاعر العراقي" عبد الوهاب السبياني" الذي تحدث عن أبطال الثورة التحريرية، وعن الأوراس كذلك " محمود درويش" في قصيدته" عناقيد الضياء" وأيضا الشعراء التونسيون منهم،" الميداني بن صالح" الذي غنى للأوراس كذلك" سليمان اليعسي" وغيرهم من شعراء العرب الذي ألهمتهم الثورة الجزائرية وأعجبوا بأبطالها الأبرار.

1 - عبد الله الركيبي: الاوراس في الشعر العربي ، ص5.

2 - عمر بوقرورة ، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، ص12.

لهذا فقد حاول الشعراء ألا يكتبوا من " خلال الوطني الثائر، فبدت فرنسا في أشعارهم مرعبة، مغتصبة، محتلة للأرض"[1].فقد حاولت أن تكون السيدة و المسيطرة على كل شيء في الوطن.

ففي بادئ الأمر كانت صورة الفرنسي لدى الجزائريين فيها القليل من الأمل على أن هذا الوضع لن يطول، وأن فرنسا سوف تعطيه الحرية، لكن بعدما فعلته بالجزائريين من قهر وعذاب وبعد حوادث الثامن ماي التي كانت سببا في يقظة الشعب و الشعراء خاصة، تغيرت هذه الصورة، ولقد نحى الشعراء في أشعارهم منحى النصح و الإرشاد وهذه الصورة الحاقدة للإستعمار نجدها في كم شعري هائل، وقد تطورت صورة الفرنسي المحتل، بتطور الشعر الجزائري فقد كتب الكثير من الشعراء أثناء الثورة التحريرية، ومن بين هؤلاء أبو القاسم سعد الله فقد جاءت صورته أكثر درامية وأشد تأثير، فقصائده تبدوا أقوى على تمثل الفرنسي الماثل في صورة الموت و الخراب و الدمار ، فنقرأ ذلك مثلا في قصيدته" القرية التي إحترقت" ونحن نحس عند قراءتها مدى تصويره الدقيق لبشاعة وفضاعة المحتل الذي لم يترك شيئا إلا ودمره.

وما يمكن قوله هنا هو أن شعراء الجزائر إستطاعوا– بالرغم من فقرهم الفني و الثقافي– أن يؤسسوا شعرا مركبا بدا الفرنسي همجيا متوحشا لا يعرف معنى الإنسانية ، لهذا نجد أغلب الشعراء يوظفون في شعرهم كلمات مثل الأوغاد، المعتدون، العابثون،الدئاب وغيرها.

كذلك نجدهم يوظفون معاني لجهاد الجزائريين وأملهم الدائم لتحقيق النصر الذي عاشه الشعراء الجزائرون أثناء الثورة التحريرية فمثلا كما قال صالح خرفي:[2]

إنها أشهر وليست سنينا

1 - عمر بوقرورة ، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، ص29.

2 - عمر بوقرورة ، دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص29.

لنرى قبضة تفك السجينا

نمسح الدمع من جفون بنينا

فهم لديهم حلم كبير ودائم في أن يرو الجزائر حرة طليقة رافعة عالمها الوطني على أرضها الخصبة، ويصور لنا مفذي زكريا صمود هذا الشعب الجزائري في قوله:

" و الشعب شق إلى الخلود طريقه: فوق الجماجم و الخميس لهام

لا النار لا التقتيل يثني عزمه : لا السجن لا التنكيل لا الإعدام"[1]

فالتصوير في هذه الأبيات واقعي فهو تجسيد إصرار الجزائريين على الجهاد في سبيل الوطن من أجل الحرية، فلا السجن و لا التعذيب يوقف حاجزا أمامه.

د- شعر الثورة: هذا الشعر ارتبط إسمه بثورة نوفمبر الجليلة، فهي التي غيرت حياة الشعب و فكره، هذا الشعر يعبر بصدق عن شعور الشعب قبل الثورة وبعدها، فبات أول نوفمبر يوما خالدا في تاريخ الجزائر وفي نفوس الشعراء ولهذا نجد أغلب الشعراء ، ينشدون هذا الشعر الثوري ويكتبون عن بداية الإنفجار، في هذه الليلة التي إستجاب إليها كل الجزائريين التي كانت بحق ليلة القدر الكبرى، فقد سطع فيها نجم الحرية

وكان الشعر الثوري ملتصق بالثورة في سهولها وجبالها وغاباتها فهذا "الشعر يكاد يكون العمود الفقري لإنتاج الثورة"[2]

1 - مفدي زكريا : اللهب المقدس ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د-ط ، الجزائر ، ص45.

2 - صالح خرفي : الشعر الجزائري الحديث ، ص239

كل هذه الأنواع من الشعر الجزائري كانت تنادي بالكفاح من أجل تحرير البلاد فكانت تقف إلى جانب الشعب الجزائري وتكتب عن مأساته وآلامه في الشعر يعتبر السبيل الوحيد لإخراج الأمة الجزائرية من محنتها التي وقعت فيها.

2-2 " حياة الشاعر" :

*- **توطئة:** إن الشعب الجزائـري الذي أبدع وصمد وقاوم، وناضل ضد أشكـال الاستعمار، و الاستغلال، أنجب كذلك رجالا عظماء خلدهم التاريــخ في صفحات الأدب و الفكر، و الفن و المعرفة و النضال، و المواقف المشرفة.

و من حق الأبناء أن يقتفوا آثار هؤلاء الأمجاد، و من واجب جيل الاستقلال ، أن يزيح الستار عن هذه الأسماء الكبيرة الخالدة،" وأن يعطي لكل ذي حق حقه بعيدا عن أي تحيز، أو تعصب وبنظرة موضوعية وبأمانة علمية"[1]، ومن هؤلاء الذين قـدموا أنفسهم، لخدمة وطنهم

1 - محمد الحسن فضلاء من أعلام الإصلاح في الجزائر ، طبعة على نفقة الصندوق الوطني لترقية الفنون الآداب و تطويرة التابع لوزارة الاتصال و الثقافة، الجزء الثالث 2003.

بالكلمة الصادقة، أثناء الاحتلال، أو بعد الاحتلال، الشاعر الكبير أبو القاسم سعد الله الكثير من أدبه ونضاله طوال حياته، كعربون وفاء وحب للجزائر التي سكنت أعماقه.

أ/ مولده ونشأته وتعلمه:

ولد في 1 يوليو1930 من ضواحي(قمار) وادي سوف، وبها حفظ القرآن الكريم، وقد اختلف إلى عدة مشايخ أشهرهم: الشيخ محمد بن بلقاسم الزبيري، المعروف بابن البرية، وقد أضاف إلى حفظه القرآن حفظ للمصنفات و المتون في النحو و الصرف و الفقه و العقائد.

وفي سنة 1947 هاجر إلى تونس في طلب العلم، و التحق بجامع الزيتونة، فانكب على الدراسة و التحصيل باهتمام وحرص، واجتهاد بما جعله ينتقل- بنجابة- من سنة إلى أخرى إلى أن تحصل على "الشهادة الأهلية" في سنة 1951 و " شهادة التحصيل" في سنة 1954.[1]

أما نشاطه في تونس فقد تولى رئاسة " جمعية البعثة" التابعة لجمعية العلماء في سنوات 1952-1954، وفسح المجال لقلمه فننشر عدة مقالات في جريدة النهضة والبصائر، و الأسبوع و الآداب اللبنانية.

أما نشاطه في تونس، القاهرة فقد كان ضمن " اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين" وأسندت له فيه مسؤولية الشؤون الثقافية، وفي نفس الوقت كان مرتبط ارتباطا وثيقا، بجبهة التحرير الوطني التي لم يبخل عليها بجهاده وقلمه، بما يملكه من طاقات فعالة في سبيل مصلحة الوطن، وكان مراسل جريدة البصائر تنهال عليها مواضيعه المختلفة ومنها" رسالة القاهرة"، أما في جامعة منيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية، لم يكتف بما ناله من العلم، وعقد العزم في الوصول إلى الغاية، وكله عزم وحزم أن يدلل جميع الصعاب التي تعترضه، هاجر

1 - بلقاسم بن عبد الله ، مفدي زكريا شاعر مجد ثورة ، حوارات و ذكريات ، مؤسسة مفدي زكريا ،ط2 ،الجزائر 2003- ص9.

إلى أمريكا وكان لا يحسن الإنجليزية، بالقدر الذي يسمح له بالدخول إلى الجامعة لكن بعد أقل من ستة أشهر درس فيها اللغة وتمكن منها.

التحق بجامعة منيسوتا بقسم التاريخ و العلوم السياسية، ثم قدم أطروحة عنوانها:" ظهور الحركة الوطنية الجزائرية"، فنال بها الدكتوراه في سنة 1965 درس في جامعة أولكير بعد نيله الدكتوراه في التاريخ و الحضارة الغربية، وحضارة الشرق الأوسط، أما نشاطه الاجتماعي في أمريكا فقد كان عضوا، في فرع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كما انضم إلى "منظمة الطلبة العرب" في أمريكا وكندا، كما تولى رئاسة،" جمعية الطلبة الأفريقيين"بجامعة منيسوتا سنة 1964-1965.

ب/ نشاطه وعمله:

عاد إلى الجزائر بعد تحريرها من كابوس الاستعمار الدخيل والتحق بجامعتها في سنة1967، وشارك في نشاطات عديدة، وملتقيات ومؤثرات منها أدباء العرب، كما شارك في ندوات واجتماعات داخل البلاد وغير البلدان العربية ومنها: اجتماعات المجتمع العلمي في القاهرة الذي هو عضو دائم فيه.

عاد إلى الجزائر إثر حصوله على شهادة التحصيل، فعين مؤقتا في مدارس جمعية العلماء في العاصمة، بما أن الأماكن الشاغرة محدودة فقد قررت" لجنة التعليم" أن تنظم مناظرة يشترك فيها المعلمون المتربصون ويعينون حسب النقط المحصل عليها، فانطلقت المناظرة في يوم 25أغسطس 1955، وقد استغرقت خمسة أيام مرحبا ممتازا من بين المجموعة، الوحيد في

الدرجة التي نالها من بين 50 مشاركا من التحرير الإنشائي وحائزا على الدرجة الثانية في المجموع العام.

عين في شهر أكتوبر 1954 مؤقتا في مدرسة البنات بالحراش، فما لبث فيها إلا بضعة شهور حيث نقل في أول يناير 1955 إلى مدرسة التهذيب العربية بالعين الباردة ، فكان ممتازا في ثقافته وخلقه، ومعاملته لتلاميذه و القسم الذي أسند إليه في المدرسة هو "مشم الروضة".

وقسم السنة الأولى تحضيري بعد الظهر، وقد نجح في عمله وأطمأن إليه، بيد أن خاطر يراوده، ويشغل باله، ويجعله في حالة استنفار ملكت عليه عقله ومشاعره، فلا يفكر إلا في الهجرة إلى مصر لمواصلة دراسته في التعليم العالي، أما في جامعة القاهرة، فقد هاجر إلى القاهرة يوم 10أكتوبر1955، ومباشرة التحق بدار العلوم في جامعة القاهرة، وبعد أربع سنوات، حصل على ليسانس في اللغة العربية و العلوم الإسلامية في سنة 1955.

ج/ مؤلفاته:

أبو القاسم سعد الله إلى جانب تدريسه، فهو معروف بنشاطه الدؤوب، ومؤلفاته العديدة، وبحوثه الشخصية في الأدب و التاريخ و الفكر فمن أهم مؤلفاته في الأدب ما يلي:

- النصر للجزائر،(شعر) 1986.
- ثائر وحب،(شعر) 1977.
- الزمن الأخضر،(ديوان)1985.
- سعفة خضراء،(قصص)1986.
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث1984.
- تجارب في الأدب و الرحلة.
- وهناك أعمال قام بتحقيقها منها:

- أشعار جزائرية(تحقيق) 1988.
- حكاية العشاق في الحب و الاشتياق رواية (تحقيق)1983.
- القاضي الأديب: الشاذلي القسنطيني 1985.

د/ الظروف السياسية و الإجتماعية و الثقافية:

لقد تأثر أبو القاسم سعد الله مثله مثل غيره من الشعراء الجزائريين بالنواحي السياسية و الإجتماعية و الثقافية في كتاباته للشعر، وسنوضح هنا إلى أي مدى تأثر أبو القاسم سعد الله بهذه الجوانب.

1/ البواعث السياسية:

لقد كان وضع صدمة الاحتلال كبيرا على الشعب الجزائري، إلا أن ذلك لم يفقده صوابه وتوازنه فكم يلبث أن جمع قواه من جديد ووحد صفه وزحف ثائرا، على بطش المعتدين، هذه الظروف كان لها تأثير شديد على نفسية الشاعر،وقد دفعه هذا إلى إبداع الشعر.

ونجد أن ديوان الزمن الأخضر لسعد الله يحمل الكثير من القصائد ذات الصبغة الثورية، سواء من خلال مضامينها أو من خلال عناوينها، فلقد حاول من خلال هذه القصائد أن يعبر عن ألم الشعب الجزائري وعن سخطه للمستعمر الظالم، فهو بهذا حاول أن يساند الشعب المتألم ويشاركه آلامه، فهو أراد أن يدافع عن الجزائر ويساندها حتى النهاية، ويتجلى هذا الاندماج الكبير مع قضايا الثورة وتاريخها مند الاحتلال من خلال هذه القصائد:

" صرخة الجلاء، مواكب النسور، طريقي، قدوة الأحرار، قصة عملاق الثورة، ليلة الرصاص،النصر للشعب،المروحة، ثائر وحب، عودة النسور، عمالقة، إلى جبل الأطلس"[1]

2/ البواعث الإجتماعية:

" كان الدين الإسلامي محط نقمة وغضب من طرف المستعمر الفرنسي الذي قادته صليبيته إلى تحويل الكثير من مساجد الوطن إلى كنائس وثكنات حربية بجيشه إهانة للشعب الجزائري وللدين الإسلامي الحنيف"[2]. وكان الهدف الأساسي للمستعمر هو تجريد الشعب من هويته و القضاء على مقومات هذا الشعب، غير أن هذا الشعب ازداد تماسكا بدينه مما جعل المستعمر يزداد غضبا ويلجأ إلى حيلته الدنيئة، وذلك بتكوين رجال يطيعون أوامرهم، واتهموا الدين الحنيف بالبدع و الخرافات، قصد التشويه و السيطرة على عقل الشعب البسيط واستغلال أميته، وهذه الظروف أدت إلى توعية بعض النفوس المؤمنة بالدين، و التي تسعى إلى التخلص من سيطرة المستعمر ،بإنشاء حركة إصلاحية تريد توعية الشعب وذلك بتعليمه العربية وإنشاء بعض المدارس التي كانت تقام في المساجد و الكنائس خفية من المستعمر.

1 - أبو القاسم سعد الله: ديوان الزمن الأخضر ، عالم المعرفة ، ط3–، الجزائر2010.

2 - شعباني الوناس : تطور الشعر الجزائري منه سنة 1945 حتى1980 ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر د–ط 1988 ص24

أدى هذا الجهد إلى ازدهار الشعر، وقد انخرط جل الشعراء في هذه الحركة الإصلاحية " لذا عرفنا إلى معظم الشعراء ما قبل الثورة، كانوا منخرطين في الحركة الإصلاحية، استطعنا أن نفسر لماذا كان الطابع الغالب على قصائدهم دينيا"[1].

كما أن الأدب عبر بشقيه، النثر و الشعر عن الظروف التي تسبب بها المستعمر للشعب الجزائري من فقر وجوع وتشريد، وهذا ما دفع بجمعية العلماء المسلمين إلى إرسال الطلبة إلى المشرق العربي ليستفيدوا ويزدادوا علما وذلك قصد إصلاح الأوضاع في الجزائر أثناء دعوتهم، وخاصة معالجة الأمراض الاجتماعية، كذلك معالجة الحالة الاقتصادية المزرية و التي تسبب فيها المستعمر نتيجة استغلال الأراضي الزراعية، ومصادرة الممتلكات الخاصة بالشعب الجزائري.

وقد وصلت الحالة الاجتماعية للشعب الجزائري إلى حالة مزرية يعمها الفقر و البطالة و التي ترتبت عنها المآسي الاجتماعية كالسرقة، و النهب، وظهور مساحي الأحذية و المتسولين، وهذا ما أدى بالشعب الجزائري إلى الهجرة، وكان الشاعر في تلك الفترة هو المرآة العاكسة التي تصف حالة المجتمع وازدرائه.

غير أن الحركة الإصلاحية لم تستسلم فبالرغم مما ألحقه المستعمر بها إلا أنها عملت على توعية الشعب ونشب في روحه أفكار العقيدة الإسلامية وتكوينه نفسيا وعقليا لمواجهة المستعمر، وقد وظف أبو القاسم سعد الله بعض المواضيع و القضايا الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره منها:" الجرح و المصير" في غابة البشر، " ليل وشوق"[2].

3/ البواعث الثقافية:

1 - المرجع نفسه ،ص25.

2 - أبو القاسم عبد الله : ديوان الزمن الأخضر.

تعددت مراكز الثقافة بالجزائر وقد كانت رفيعة، وأساتذة أعلام نابغين في جميع العلوم" ولا يسعنا أن نقف عند الحياة الثقافية سنة 1830 حيث كان بالجزائر 2000مدرسة وأربع جامعات دراسية بكل من مدن الجزائر العاصمة، وقسنطينة وتلمسان، وكانت هذه المعاهد تضم 180 ألف طالب ، وبعد الاحتلال أصبح عدد المدارس 1870و 36 مدرسة تضم 600تلميذ"[1].

وهذا ما يؤكد أن نسبة الأمية في الجزائر سنة 1830 قليلة غير أن هذا الأمر لم يدم طويلا لأن الاحتلال عمل على نشر الجهل و الأمية، في أواسط المجتمع الجزائري، وهذا ما أدى إلى ارتفاع هذه النسبة.

مما دفع بالشعب الجزائري للبحث عن طرق أخرى تمكنه من العيش فامتلأت الطرقات بالشباب الأمي الذي أضطر إلى العمل في الحقول و المناجم، ومسح الأحذية ، وهذا لإلغاء فرنسا للمعاهد، و المدارس العربية، وكذلك عملت على تحويل المساجد إلى كنائس، وهذا ما جعل التعليم ينحصر في الزوايا، وكان لهذا التعليم الفضل في المحافظة على اللغة العربية في الجزائر، وكانت هذه الزوايا تقوم بتدريس النحو و الصرف، و الفقه، وهذا غير كاف ما أضطر إلى تقديم الشعر الذي كان يتناول في ذلك الوقت القضايا الدينية.

غير أن السلطات الفرنسية قامت بمحاربة هذا التعليم، وقامت بإغلاق الزوايا ونفي الطلبة منها.

" وقد تأثرت الثقافة بهذه الأحداث التي خلفها المستعمر في ظل الأدب المكتوب و اللغة الرفيعة، وهكذا فقد المثقفون الجزائريون تدريجيا اتصالهم بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب و المدارس بلغتهم"[2].

1 - أنور الجندي : الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا

2 - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية ،دار الأدب ،بيروت ،د–ط1967،ص73

وهذا ما دفع بعض المثقفين إلى الهجرة إلى البلدان الأخرى منها تونس، ومن هؤلاء أبو القاسم سعد الله الذي كان طالبا في جامعة الزيتونة.

2-3- تقديم أعماله الشعرية:

- بين يدي الديوان: " الزمن الأخضر"

يعد الشاعر سعد الله من الأصوات الشعرية التي تجسدت في ديوانه" الزمن الأخضر" ،بحيث يجد القارئ لهذا الديوان صوتا شعريا متميزا " وقد نظمه في الفترة الممتدة بين 1950-1960[1].

وقد كانت بداياته الأولى تتميز بالوضوح و البساطة، و السهولة، أما عن نهايته فقد جاءت ناضجة ومتطورة.

" وقد أكد ذلك أبو القاسم سعد الله بأن شعره ليس من أجود ما قرأ الناس ، ففي بعضه بساطة قد تكون مسعفة ، وفي بعضه صور وأخيلة تتكسر دونها أجنحة الفهم"[2].

1 - أبو القاسم سعد الله :الزمن الأخضر ديوان ،ص7

2 - المرجع نفسه ،ص10

وعند قراءة الديوان فإننا نجد المحاور الأساسية التي تدور حولها قصائده هي "تحاور الوطن" من خلال تجسيده لوحشية المستعمر، ومآسيه وفواجعه التي يرتكبها المستعمر الفرنسي، في حق الشعب الجزائري، وكيفية مواجهة الشعب الجزائري بهذه الثورة.

ويعد هذا الديوان ثمرة لتجربة شعرية عاشها الشاعر بكل تفاصيلها طيلة ثلاثين سنة أو يزيد، فقد بدأ فرض الشعر سنة 1950 بتونس، وأنهاها بآخر قصيدة 1978 بأمريكا، فقد صادفت قصائد هذا الديوان مرحلة شباب الشاعر، كما صادفت الثورة التحريرية الكبرى 1954، فقد احتوى الديوان عاطفتين شبانيتين، إحداهما ذاتية يعبر فيها سعد الله عن أحاسيسه، وعواطفه الرومانسية الحزينة المتسمة بالكآبة و اليأس، وعاطفة أخرى تعبر عن لهيب ثورة نوفمبر.

" ويضم هذا الديوان الشعري قصائد في مجموعة" (النصر للجزائر) وقصائد في مجموعة (ثأر وحب)"[1]

ونلاحظه في الديوان أن القصائد النضالية الثورية هي الطاغية عليه إذ تشكل النسبة الأكبر من قصائده.

1 - المرجع نفسه ،ص13

الفصل الثاني

تجليات الثورة في شعر أبي القاسم و الثورة

1-3 تجليات الثورة في دواوين سعد الله:

إن حب الوطن والشعور نحوه بارتباط روحي، نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من أجله، ويضحي في سبيله، وهذه المحبة تفرض على الشاعر أن يعبر عن آلام وأمال أمته ويدرك الحقيقة ويجاهر بها في لغة فنية معبرة.

فحب الشعب الجزائري لوطنه جعله يشارك في الثورة ويدافع عنها بيده وقلمه، وهذا ما فعله جل شعراء الجزائر، فقد حاولوا المشاركة في هذه الثورة المباركة وساندو شعبهم في كل صغيرة وكبيرة ومن بينهم الدكتور والشاعر الجزائري أبي القاسم سعد الله ، فعند قراءتنا لديوانه " الزمن الأخضر" نجد جل قصائده نضالية ثورية ، تكرس مفهوم الثورة، وتجلياتها الظاهرة في العديد من الألفاظ الدالة على الثورة فهو يدعو إليها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ومنها : " الكفاح – النضال – الثورة – الرصاص – موت – العدم – ضباب – دماء – سجون – النار – احتراق – الرماد – عذاب – اغتيال – نوفمبر " فهذه الألفاظ تدل على كفاح الشعب الجزائري وقيامه بالثورة المباركة.

نحاول هنا التطرق لبعض قصائده التي تتجلى فيها مفاهيم الثورة وتعبر عن قيام الشعب بها و الدفاع عن وطنه وكذا مناطق اندلاعها.

عبر " سعد الله " عن فرحة " الفاتح من نوفمبر " التي كانت حلما بالنسبة للشعب الجزائري، في هذه المناسبة عبر الشعب باندلاع الثورة، وأنها تمثل الحلم الذي تطلعت إليه الأجيال منذ زمن طويل.

" فالثورة وحدت المواطنين على كلمة سواء ، وجعلتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا [1].

1 - أبو القاسم سعد الله، مجادلة الآخر، دار الغرب الإسلامي– ط–1/ص30.

وشجعتهم على إخراج العدو من بلدهم وطرد الخوف من قلوبهم. [1]" حتى كاد اليأس من تحقيقه ليتسرب إلى النفوس لكنه تفجر كما تفجرت عواطف الشعب[2]

"فالشاعر إمتدح ليلة نوفمبر في قصيدته الثورة قائلا.

كان حلما واختمار

كان لحنا في السنين

كان شوقا في الصدور

أن نرى الأرض تثور

أرضنا بالذات

أرض الوادعين

والشاعر " يسند الثورة إلى الأرض وأن الظلم الذي سلط على الإنسان هو نفسه الذي سلط على الأرض" فأحست به وثارت مثلما ثار الإنسان فوقها وحين تتفجر الثورة فهذا يعني تعبير عن الغضب الذي ينطلق من أصوات الثائرين والشاعر مزج بين الطبيعة وبين الإنسان فكلاهما قد ثار على هذا العدوان الذي سلط على الجزائر: يقول في المقطع الآخر من القصيدة

غير أن الأرض ثارت

والهتافات تعالت

من رصاص الثائرين

1- عبد الله الركيبي: الأوراس في الشعر العرب، ودراسات أخرى، ص 122.

2- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 175.

ثم يصور لنا كيف كان قصف القنابل في تلك الليلة التي يغطيها الضباب الكثيف ويغمرها المطر في قوله في قصيدة " ليلة الرصاص"

وكان اختمارا كان ضباب

وكانت زلازل رغم المطر

وكانت قنابلنا قاصفات.[1]

ليأتي إلى تصوير فضاعة المشهد، وكيف امتلأت الدنيا دخانا ودماء ، في المقطع الثني من القصيدة بقوله :[2]

باتت جزائرنا الفاضلة

دخانا وزحاما وعطرا ودم

وغيم الشتاء يجللها

سوادا وجوف الرغام حمم

كانت ليلة نوفمبر وعدا للثورة المسلحة في الجزائر وكان اندلاعها في كامل القطر في لحظة واحدة فثارت دهشة العالم أجمع .

وهذه صورة للذكرى.... ذكرى تلك الليلة العارمة التي رفعت فيها الجزائر راية الكفاح.

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص177.

2- نفس المرجع ،ص 177.

أ- رد فعل فرنسا من هذه الثورة :

قد تفاجئ الاستعمار الفرنسي من هذه الثورة ومن ردة فعل الشعب الجزائري. واعتبرها المجاهدين عصـاة لأوامره ، وأمر بالتخلص منه وقد عبر عن هذا الشاعر في قوله :[1]

وثارت فرنسا وأدنابها

لتثأر لشرف المستباح

ونادت مجالسها في جنون

نريد العصاة بحد السلاح

فالثورة كانت الحد الفاصل للاستعمار وهي التي نزعت من فرنسا قوتها وجبروتها.

ب- حادثة المروحة :

لقد عبر الشاعر في قصائده عن الذريعة الكبرى التي تسببت بها فرنسا لدخول الجزائر هذه الحادثة التي فقدت من خلالها الجزائر مليون ونصف مليون شهيد، بالإضافة إلى الخراب الذي لحق بها و الجهل والأمية الذي نشرهم الاستعمار في أوساط المجتمع الجزائري ولهذا تحدث عنها الشاعر في ديوانه " لأنها تعتبر ذات أهمية كبيرة فقد تحدث فيها عن الحادث الذي زعمت فرنسا أنه السبب في غزو الجزائر".[2] يقول فيها /

أكذا الريشة حرير وقبل

أبيض كالقطن جذاب خضل

مات فيه الحب ظمآن الأمل

حين طاشت مروحة

1 - عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص 162.

2- أبو القاسم سعد الله، المروحة ،ص203.

هذه المروحة البسيطة كانت سبب في موت الحب والأمل اللذان كانا يعيشهما الشعب الجزائري وعاش قرابة قرن ونصف في حروب دامية، وغابت الشمس عن الجزائر، وتعذب شعبها وذاق مرارة الفقر و الحرمان.

وهذا ما جعل الشاعر يورد في بعض قصائده كيف كانت هذه الثورة على الشعب، وكيف تعامل معها، والتي أوردها في ديوانه بألفاظ وعبارات دالة على معايشة الشعب الجزائري لثورته المباركة.

ج- قيام الشعب بالثورة المسلحة :

كما قلنا سابقا بأن الشاعر حاول أن يطلعنا في ديوانه عن اندلاع الثورة وكيف استقبلها الشعب الجزائري وناضل معها.

هذا الشعب الذي غطس في بحر الدموع واليأس ويتعذب بين مخالب الاستعمار ، ولكن المناضلين، والثائرين على الطغاة لم يبقوا ساكتين، بل كافحوا حتى النهاية، من أجل استعادة بلدهم لكن الخائنين لوطنهم كانوا يقهقهون ويسخرون من هؤلاء الثوار الذين لا يعرفون النوم أبدا ، من أجل شعبهم ووطنهم وهذا ما عبر عنه في قصيدته " مواكب النور" إذ يقول فيها :[1]

والشعب يسبح في الدموع

والبؤس يحتطب الجموع

والمبدأ الأسمى صريع

بين المخالب و النجيع

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، مواكب النسور،ص119.

إلى أن يقول :[1]

والثائرون على الطغاة يناضلون

والخائنون يقهقهون ويسخرون

فالشاعر عبر عن معاناة شعبه جراء الاستعمار وهذا ما جعلهم يثورون عليه" والتأسيس لهذه الصور المرعبة بطولي، إذ يقابله جهاد الجزائريين المؤيد بالأمل" وذلك ظاهر في قوله.[2]

لكن مواكبا تسير

كالريح تعبث بالخطير وبالحقير

كالفوهة الحمراء تقذف بالسعير

والجزائر لا تتنكر لمن أحبها ولمن عاشت وعانى من أجلها، " فالوطن يطلب من أبنائه الوفاء والتضحية فنداء الأرض نداء الأمومة المقهورة ومن الداخل تنشر مواليها العطشى وأغانيها الحزينة"[3]من جراء الخراب الذي يلتهم الأرض، ويمزقها وتدعوه للقيام بالثورة لإخراج الحق والغضب الذي يعيشه أبناء هذه الأرض ، وهذا ما فعله الشعب الجزائري وقد عبر الشاعر عن هذا في قوله : في قصيدته : " الدم و الشعلة "

القرية ترمى

عشبا وترابا ترمى

جرح من غير ضمادة

في جسم البشرية

1 - عمر بوقرورة– دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص28.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، مواكب النسورص120.

3 - أبو القاسم سعد الله، مجادلة الآخر، ص30.

شربوا دماها القاني

في ثورة حق أسود

وعيون الليل تمزقها

والخنجر يخرقها.[1]

هذا الجرح وهذا الدمار لن يبقى مدى الحياة سيزول بقيام الثورة وتزول الشكوى والأمل وتنطلق الجزائر حرة طليقة فالشاعر ينادي أرضه إلى القيام بهذه الثورة وعبر عن هذا في المقطع الأخير من القصيدة بقوله:/

يا أرضي المنطلقة

أمضي في الأفق الأرحب

أفق الثورة

آسي الجرحة بالجرحة

وأطيري الموكب بالفرحة

لا ألما لا شكوى

يا أرضي المنطلقة

ولم يقف الشاعر عن هذا الحد فقط ، بل صرخ بلهجة حادة صارمة بعدم إلقاء السلاح مهما كان الأمر ، فهو يعبر عن واقع الشعب الجزائري الذي رفض كل المساومات على لسان قادته حيث يقول سعد الله في قصيدته"كفاح إلى النهاية"[2]

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص287.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص181.

بإسم أمي و الفداء

باسم أعراض النساء

باسم ميثاق الكفاح

سوف لا ألقي السلاح

إلى أن يقول :/

باسم آمال الضحايا

باسم آلاف اليتامى

باسم أيام الكفاح

سوف لا ألقي السلاح

فالشاعر ملتزم بقضايا وطنه وأمته فهو يحث على مواصلة الثورة والكفاح حتى النهاية، وأن لا يلقب شعبه السلاح باسم أمته وفدائه وكل الضحايا الذين راحوا في سبيل تحرير بلادهم وباسم كفاحهم وهذا كله فداء للجزائر ولأجدادنا الفاتحين ولأرواح الشهداء الأبرار فهم جنود الوطن وحماتها يقول سعد الله قصيدته " فداء الجزائر "

فداء الجزائر أرواحنا

فداء لأجدادنا الفاتحين

ونحن جنود لأوطاننا[1]

فالجزائر في أرواح كل أبنائها وأجدادها وجنودها وحتى شعرائها.

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص181.

وفي قصيدة " الفدائي " عبر الشاعر عن مدى قوة الجزائري، ورغبته في قهر الفرنسي وإذلاله وإخراجه من وطنه، فهو يقاتله ، بروحه وقوة سلاحه فلا تهمه حياته ولا دماؤه أمام وطنه ولا يهاب الموت أبدا يقول فيها[1]

يقاتل الخصم دوما

بروحه وسلاحه

فإن رأى الموت هانت

حياته ودماؤه

كما صور لنا الشاعر سعد الله تلك الجبال التي تعتبر رمز الثورة ورمز الفداء والتضحية جبال الأوراس، التي انطلقت منها الثورة المباركة لتحرير الشعب الجزائري، " وقد صور الجبل كمحرر للأرض فالأوراس رمز للقيم النبيلة، وقد كان منطلقا لثورة نوفمبر المجيدة"[2] فالشاعر دائما يحلم بتحقيق الحرية وبمستقبل الإنسان وقد حقق له هذا الحلم نضال الشعب ونضال الطبيعة معه – الأوراس– وقد قال سعد الله عندما أعلنت فرنسا التعبئة العامة لإبادة الشعب الجزائري في قصيدته " الأوراس "

من حولك الصراع و الدمار

و النار تأكل الأحياء في الدوار

من حولك الدماء كالأنهار

تجري فتسقي الأرض ماء الثأر

لتنجب الأشاوس الأحرار.[3]

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص189.

2 - عبد الله الركيبي، الأوراس في الشعر العربي، ص 58.

3 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص249.

فقد تحدث عن الصراع و الدمار الذي لحق بالقرية الصغيرة، التي إلتهمتها النيران وسقيت أرضها بدماء أبنائها لتنجب لهم أبطال أحرار ، ليخففوا عنهم العذاب، ثم تحدث عن الأوراس الذي كان شعارهم السحيق، الذي كانوا يرددونه دائما ليزرع الرعب في قلب خصمه وينير الطريق لشعبه ولكي يثور ويعلن عن اندلاع الثورة في قوله[1]أيضا في قصيدة الأوراس

فأين أنت يا شعارنا السحيق

لقد ظمئنا يا مهيبا للشروق

فهات الرعب شبه حريقا

وهات البرق ينجلي الطريق

أوراس يا عظيم جفت الحلوق.

فالثورة عند سعد الله "لم تفجر دماء، وإنما جداول نور وأنهار حب"[2] حيث يقول في مقطوعته " الجزائر الخالدة":/

أضاءت بلادي طريق الخلاص

لمن يسأل أن ينجلي

وحطمت السد فانساح منه

على الأطلس الخليل المخملي

جداول نور وأنهار حب

تزف الصباح إلى المقبل.[3]

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص251.

2 - صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 305.

3 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص249.

والشعب أمر على خوض المعركة، وما بين أيضا تجليات الثورة عند سعد الله هو ما قاله في قصيدته " الجزائر تتكلم " إذ عبر فيها عن قيام الشعب الجزائري بالكفاح المسلح، ويخبر فرنسا بأنه لا يهابها ولا يأبه لها، وأنه كمين جديد لجيشها الجبار وسوف يقضي عليها ويعلن عن اندلاع الثورة يقول:[1]

أقولها لفرنسا

جلية كالصباح

إني كمين حديد

لجيشك السفاح

إني بعثت إليك

على زئير الرياح

على دوي السلاح

وبهذا يمكننا القول أن الثورة" قد حطمت التناقض الذي عاشته الجزائر ، وقضت على الحياة القديمة و الفضل في هذا " الأوراس" [2]فمنه انطلق الصوت الذي زعزع الحياة الراكدة الذي نفخ الحياة في أعماق الشعب الجزائري.

وتبدو تجليات الثورة من خلال المعاني الشاملة للثورة التي تعطيها طابعا إنسانيا متهافتا عليه من قبل الإنسان الجزائري المسلوب للحقوق مدة قرن وثلاثين سنة " فقد حاول الشاعر في هذه القصائد " أن يحيط الثورة بما يملك ، من وسائل فنية تعطي معنى شامل وواضح للثورة".[3]

1 - المرجع السابق ، ص 233.

2 - عبد الله الركيبي، الأوراس في الشعر العربي ص37.

3 - العربي دحو ، مقاربات في الأدب العربي، ص331.

3-2 أهم القضايا التي تناولها في شعره:

تناولنا فيما سبق تجليات الثورة عند أبي القاسم سعد الله ونأتي هنا لنعرج عن القضايا التي تناولها في شعره ، فعند تفحصنا لديوان الشاعر " الزمن الأخضر " نجد معظم قصائده ثورية حماسية تعالج قضايا الوطن الجزائري وأحداثه أثناء الاستعمار وبعد الاستقلال.

فقصائده كانت كلها وطنية وهذا يدل على التزامه بقضايا وطنه .كما كان مساندا لشعبه وثورته فقاسم الشعب أحزانه وآلامه من خلال كتابة الشعر ليحفزهم على القتال والصبر.

ويمكن أن نحمل هذه القضايا الوطنية في القصائد التي أوردها في ديوانه في النقاط التالية:

*قصائد تصف مكافحة الشعب الجزائري أثناء الثورة وكذا معاناته

*قصائد تجمع بين الحب والثورة

*قصائد تتعلق بالسجون التي ذاق الشعب فيها الجزائري مرارة العذاب

*قصائد تعبر عن فرحة الشعب الجزائري باستقلال بلاده.

وقد تم هذا التقسيم حسب محتوى القصائد الوطنية لأبي القاسم سعد الله.

ونعود إلى التقسيمات السالفة الذكر ونتحدث عن هذه القصائد فيمايلي:

أ: قصائد تصف مكافحة الشعب الجزائري أثناء الثورة وكذا معاناته :/

نجد جملة من القصائد تتحدث عن حالة الشعب الجزائري والأوضاع المزرية التي تسبب فيها الاستعمار الفرنسي ومن هذه القصائد:/ القرية التي احترقت – النصر للشعب – الجرح والمصير – احتراق – أنشودة المزارع والحقول – كثافة – البعث .

فـ " القرية التي احترقت" بين فيها الشاعر للشعب الجزائري أن هؤلاء الطغاة الذين " تساندهم هيئات أممية عديدة إنما هم مجموعة من السفاحين الذين ينشرون الخراب ويقتلون الأبرياء ويغتصبون الأوطان"[1]فكانت صورة الفرنسي لدى الشعب الجزائري ماثلة في صورة الموت والخراب حين يقول الشاعر.

هكذا ينتصرون

ويعودون نشاوى

حيث يجزون نياشين وألقاب البطولة

هكذا ينتصرون

يشنقون الأبرياء

ويصبون الخراب

كالجراد

كانتشار الزاحفين

ويعودون سكارى

ينشر الظافرين

يالهم من جبناء.[2]

هذه الأوضاع التي عاشها الشعب الجزائري كان لها تأثير كبير على نفسية الشاعر مما دفعه إلى لوم وعتاب الشعب الجزائري على هذا السكوت فقد خاطبهم بلغة مؤمنة .

حيث يقول:

1 - عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 27.

2 - أبو القاسم سعد الله ، الزمن الأخضر ، ص 220.

أيا شعب أنت وجودي وحبي

وإيماني الفائض المشراق

وأنت الكيان الذي لا يذوب

إذا ما الوجود عراه المحاق

ولف الحياة سواد الفناء

ومات لها في النفوس اشتياق

فهو يدعم الشعب الجزائري ويشجعه، بأنه الكيان الذي لن يزول فمن مهام الشعراء إحلاء الحقيقة لشعوبهم، فهم كالشموع ينيرون الدروب لغيرهم بينما يحترقون من الداخل، وعندما زعمت فرنسا أن جيش التحرير لا يمثل الشعب الجزائري عبر الشعراء عن ذلك بأقلامهم وهذا ما لم يعجب المستعمر فقامت بنفي وسجن الكثير من الشعراء لأنهم يدعمون الشعب على الكفاح حيث يقول في قصيدته { النصر للشعب}.

الرأي رأي القادة الأحرار

فهم التقاة حماة الدار

لهم القلوب مواطنا ولهم يد

محفوظة في موطن الأسرار

فإذا هم نادوا أجابت أمة

مرصوصة في موكب جبار

لا تثني عن حقها وكفاحها

مهما استعان الظلم بالأنصار

والنصر للأحرار.....للشعب الذي

يبني الحياة على الكفاح الناري.

فهو بين من خلال هذا المقطع بأن جيش التحرير له الفضل الكبير في الدفاع عن الشعب الجزائري وهو حامي الوطن فالنصر في الأخيرة للجيش والشعب الذي يعاني ويعيش حالة، مزرية في بلاده حيث أصبح سادة البلاد هم الفلاحون وقد وصف لنا الشاعر حالة الفلاح وكده وحرمانه وعرف في أرض آبائه وأجداده، هذا الفلاح الذي لا يجد شيئا وإن وجد لا يجد سوى كسرى وخبز وفراش من حصير وكوخا يأوى إليه[1]

حيث يقول سعد الله في قصيدته { أنشودة المزارع و الحقول } [2]

من حتام افترش الحصير

وأساكن الكوخ الحقير

وأساهر الحرمان و الألم المرير

وتلوك جنبي الخشونة

ويحيطني قبو العفونة

هذه هي حالة الفلاح الجزائري الذي يعيش حياة رتيبة قاسية حياة كلها حرمان وشقاء، فأمسه أسود قاتم، ويومه مضطرب، أما الغد فهو مبهم ، ثم يقول في هذه القصيدة :

1 - الدكتور عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث،ص 159.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 141.

إن هنا ، أبدا هنا

نمشي على الشوك الحديد

ونشيد دنيا من أمانينا الحبيبة

ودنيا طليقة

في أرضنا الملأى بطاقات الحصيد

سنعيش أحرارا وصيد

في أرضنا البكر .....الولود

وهنا أكد أيضا أن الجزائر ستتحرر ويصبح العبيد أي الفلاحون سادة في بلادهم وهذا ينطبق على جميع الشعب الجزائري وليس الفلاحون فقط كما يبدوا { بعض التداخل في قصائد سعد الله منها " كثافة و البعث " [1]

وقد عبر فيها عن السنوات العجاف التي لم تنجب شيئا من الخير فلم تنجب سوى البكاء وحيث يقول سعد الله "[2]

أساس رميم

لمثوى قديم

وطني ينوح فيه الخراب

وأكوام فحم وفتن

وجرذان راكضة خائفة

1 - عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 86.

2 - أبو القاسم سعد الله ، الزمن الأخضر ، ص 145.

وشارات مقبرة نائمة

على هضبة من دماء

وأشباح دعر وخوف

على خبث من نفايا أمس

ومن يحصد السنوات العجاف

فقد عبر عن القحط الذي أصاب الشعب الجزائري حيث يقول سعد الله :[1]

طالما ليلى امتثال وسجود

أقرع الأرض برجل من ورق

وأعب الماء قيحا وصديد

حائرا أبدو بلا كف طلق

وبلا شعار

كما أن الشاعر قد عبر عن ضياع وآلام الشعب وجروحه ومصيره المجهول حيث يتحدث عن الشعب الجزائري الذي ألهمه مصير الثورة ونسى مصيره وجرحه إذ يقول في قصيدته " الجرح و المصير "[2]

اليأس و الضياع والألم

وآهة الغروب والندم

والنغمة الخابية الإيقاع

1 - المرجع نفسه ، ص 235.

2 - أبو القاسم سعد الله ، الزمن الأخضر ،ص 351.

وكل فكرة بلا هدف

وخاطر شيك أو يلتاع

.....

.....

إلى أن يقول

الجرح .....جرح الشعب

إذا تحطمت في رجله القيود

وإذ تغني شمسه مصيره بلا حدود.

في زحمة النضال

فكل قطرة من دم

إفاقة من وهمه الكبير

فاليأس الذي أحاط بالشعب الجزائري " أنساه مصيره وأنهضه من غفلته لكي يواجه هذا العدوان الظالم الذي نزع حق الشعب الجزائري وحق المجتمع"[1].

ب- قصائد تتعلق بالحب و الثورة :

في مآسي الثورة وأحداثها الداخلية، تتجلى مأساة الحب والعاطفة الجريحة، والسجن يبعد بين قلبين تآلفا، أو الموت يخطف أحدا من الروحين بعد أن تمازجا وتحابا وجدتهما العاطفة الصادقة، أو الإبعاد يفصل بين حبيبين بأسلاك مكهربة ، " وأعنف الحب ذلك الذي يترعرع في كنف الأحداث الجسام، وتصدمه المتاعب و الآلام وناهيك بالحب الذي يتفانى في الحب الكبير"

1 - صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث ، ص 241.

حب الوطن ومن الشعراء من ربط الحب بالثورة ومن هؤلاء أبي القاسم سعد الله الذي كان أسبق الشعراء إلى التغزل وذكر الأحبة فقد ذكر عدة قصائد في هذا الجانب منها: الجمال الحالم ثائر وحب ، أوتار قلبي، صورة ، ليل وشوق ، الليل والجرح"

فقد عبر عن سمو الحبيبة وشدة تعلقه بها التي تزيده إيمانا واعتبر أن حلالها معرض للخلود الهاني حيث يقول:[1]

أضفي الوجود مداك في الألوان

وجلالك معرض للخلود الهاني

تجثو الحقائق من سموك ركعا

وتفيض فيك جداول الإيمان

كما أنه تحدث عن الحب و الغزل بذكر الحبيبة وذلك في مطلع قصيدة " أوتار قلبي" [2]حيث يقول :

ذاك طيف الهوى وأحلام أنثى

أم خيال الجوى وأشباح بؤسي

هذي جنة الحياة وهذي

روضة الموت في سبيل التأسي

فهي فكرة في الروح والجمال والألم والعواطف والحياة والخلود.

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر،(قصيدة الجمال الحالم) ، ص 61.

2 - صالح الحرفي، الشعر الجزائري الحديث،ص 311.

كما أن الشاعر تحدث على لسان ثائر في الحبل "الذي يترك محبوبته ليلتحق بالجبال ويكافح مع إخوانه، ويجاهد أعداء بلاده"

هذا الثائر الذي لم ينسى حبيبته، وحبه وهو في وسط المعركة حيث يقول:[1]

أوراس والدماء والعرق

وصفحة السماء والغسق

والأفق المحموم راعف حنق كأن وجودي القلق

قد ظمئت عيونه إلى الفلق

وسأل من أطرافه دم الشفق

ونجمة من الشمال تحترق

كقلبي الذي يدق

بذكرك العبق.[2]

حبيبتي.....

ثم تابع الشاعر ذكر المناطق التي يعيش فيها الثائر ، فذكر الأطلس وغابة البلوط، والنهر والضفة الخرساء، والصخرة المنتراة ، ثم صوت المحبوبة الذي لم يضع بين هذه الأشياء كلها ذلك الحب النظر الذي يذكره لحبيبته، حيث يقول.[3]

والأطلس الأنوف والبطاح

محمرة الخدود بالجراح

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ،ص 61.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ،ص 61.

3 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ،(قصيدة ثائر وحب)ص 195.

وغابة البلوط كالأشباح

ترقطها عواصف الرياح

ثائرة مهتاجة الكفاح

والنهر والغيوم والسد

والضفة الخرساء والصخر

منتشر..... وزائر العمر

يطل في حذر.

" من كوة مطموسة البصر

وصوتك الحلو النغم

في مسمعي كرعشة الحلم

كخفقة الصباح المنتظر

وحبنا النضر

حبيبتي....."[1]

ثم عبر الشاعر عن الحب والثورة، هذه الثورة التي زحفت فيها الجموع في عزم وقوة رافعة العلم.....في شموخ إلى الغد الباسم المنشود حيث يقول سعد الله :

وهذي الجموع الزاحفة

بعزمه كالعاصفة

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ، (قصيدة ثائر وحب)،ص 197.

خفاقة البنود

إلى الغد المنشود

فالحب عند سعد الله صلاة ضارعة في محراب الجمال، وخلوة انفرادية غائصة في أعماق صورة الحبيبة ، فهي ورق باهت ، وهي رؤى متموجة حيث يقول في قصيدته " صورة "[1]

وحدي هنا

في صورة قلبي لها صندوق

سر مغلقا محجبا إلا هي

في صورة كلوح عبقري

كطلقة النبي

مرسومة دوما

آتاه ناظريه

أعماقها رحابة الوجود

ألوانها حتى مزخرفة

لها عينان فيهما غرام

أغوص فيهما إلى الأعماق

لكنني ظمآن دائما

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ،(قصيدة صورة)،ص 331.

فهذه القصيدة خالصة للحب لكن فيها بصمات الثورة " متفانية للحب مستلهمة من إحساسه وشاعره عبر فيها عن كل ما يحس به وكل ما يجول في أعماقه ، عن معاناته بالغربة وحنينه إلى الوطن فقد خاطب الليل في غربته مغنيا لنجومه مناجيا لعمرة ويحاكيه عن أسراره وعن أشواقه عن معاناته لبعده عن الأحبة والأهل و الوطن حيث قال في قصيدته" ليل وشوق"[1]

" يا ليل تمهل

وأشدد ريشك في الأفق

وأعزز ظفرك في الصخر

لا تهرب ، لا تخجل

سأغني لنجومك

سأناجي ثمرك

سأمزق أسراري

عن ناري

كما أن الشاعر عبر عن إحساسه الحزين تجاه الجزائر المكبلة والدامية فيهمس في الأذن مخاطبا حبيبته فيقول:[2]

الليل يا وحدتي جراح

ممزق الرؤى ، معذب الصباح

عيناه تبكيان دم

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ،قصيدة ليل وشوق ص 302.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ،قصيدة ليل وجرح ص 339.

أنسامه شهقات هم.

أسير في ضبابة بلا مصير

أمشي.....وتخلب الأسى

يميت السمعة الحنون

على فمي

هذه بعض القصائد التي يصور الحب في الثورة عند سعد الله ونلاحظ في هذه القصائد براءة أصلية من بصمات الثورةوبحسنها في أسلوبها ومضمونها، فهي مستمدة من رقته وعذوبته.

مستلهمة من براءتي، ولم يمسسها سوء من الألفاظ الصاخبة أو المشاعر الشبيهة بالشظايا المتطايرة.

ج/ قصائد تصف السجون :

لقد كان الشعر الجزائري في السجون الفرنسية" حلقة في تلك السلسلة الطويلة الممتدة عبر الأجيال العربية ، التي عاشت الذل و الغربة في وطنها" [1] ، وقد تصرف المستعمر في حرية الشاعر بصفة خاصة كيفما شاء، وفي حرية الشعب الجزائري بصفة عامة ، فقد كانت السجون صور للتعذيب و الوحشية التي يرتكبها، المستعمر في حق السجان، وقد نقلوا إلينا الشعراء آلامهم ومعاناتهم ومعاناة شعبهم من جراء هذا التعذيب وقد كان السجن إقامة جبرية تزيد في خوف وعذاب ويأس لهذا الشعب فكان ذكرى أليمة لهم.

وقد وجدنا في ديوان الزمن الأخضر لأبي القاسم سعد الله قصائد تصف صور الذل والهوان الذي تسلط به المستعمر على الشعب، ومن هذه القصائد نجد:

1 - عمر بوقرورة ، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 41.

بربروس– القفص– الثائر الأسير ، ولعل البطولة من بربروس وفي كل سجون الجزائر ومحتشداتها، ليست دائما بطولة كسخرية وتسامح تصحبه وتعليق، واقتدار على تجرع المرائر وكبرياء على آلامها ووخزها، وإنما هي بطولة السواعد المفتولة.

إن هذا القفص الجبار أزهقت في ساحاته وزنازنه آلاف الأرواح،حتى ليقف " سعد الله" منه موقف المتسائل أهو يطحن شعبا أم ذبابا؟ أيحطم قلوبا أم حجارا ؟ أهو الذي أعادته الأيام إلى الجزائر ليطارد الأرواح والأنفاس البريئة عن بربروس أكبر وأبشع سجون الجزائر يقول[1].

أجب بربروس

أشعبا تعذبه أم ذباب

أقلبا تحطمه أم حجر؟

وماذا،أأنت الجحيم الذي لا يطاق؟

أبا ستبل أنت ا مليئا جثث

مليئا عفونة، مليئا قيم

أعادتك أيدي الطغاة.

لتخنق أنفاس شعب يريد الحياة.

ولكن الثورة تكر على (بربروس) القمقم المارد أكر الثورة الفرنسية على (الباستيل) وانفجارها منه، فإذ الأسوار السميكة المتمعنة حطام، وإذا الأعماق الخانقة آفاق ممتدة وإذا الجثث، والعفونة حياة حرة كريمة، وإذا الجروح والآلام ذكريات تزكى النخوة، إن الثورة الزاحفة، لا تتخطى الأسوار والأبواب، والأقفال ، وإنما تجرفها في طريقها ، وتدروها عبر الفضاء للقول:[2]

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 223.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ،نفس الصفحة .

وهيهات ، يا ألف قفل حديد.

ويا ألف سوط شديد.

ويا ألف زنزانة مظلمة.

ستنهار جدرانك الشامخة .

وأقفالك المحكمة.

كأمس البعيد.

بأسلحة الضافرين

بأيدي غلاظ شداد

ومن برروس إلى الأسير الذي كان مخضرما بالدم وحوله سلاح العدو يكاد يخترقه هدا الثائر الأسير الذي هز مشاعر كل الناس ونار الحق فيه كانت تشوي كل الوجوه وثنت ورح العزم في الشعب الجزائري لكي يثار لهذا الأسير الجريح وفي هذا يقول سعد لله في قصيدته الثائر الأسير[1].

دماء وجهك نور* به تسير الجزائر.

وخفق قلبك لحن* يهز فيها المشاعر.

ونار حقدك تشوي* وجوه تلك النظائر.

وتلهب العزم فينا* فنستلذ المخاطر.

ونركب الثار رأسا* مدافع و خناجر.

هذا الثائر الأسير الذي فدى الجزائر بدمه وروحه يفديه الشاعر بحياته ومنيته فهو كالصقر بغير جناح في ذاك القفص أسير ، يعذبه الجاهلون الذين لا يعرفون معنى الإنسانية.

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 221.

ولذلك يقول في المقطع الآخر من القصيدة:

آخي فدتك حياتي ونيتي وسلاحي

كما فديت الجزائر بدمك النضاح

فداك كل أبي مغامر طماح

مناك أنت أسير صقر بغير جناح

يحوطك الغاصبون بهالة من سلاح

هذا عن معانات الشعب الجزائري من جراء تعذيب المستعمر له ، من خلال المعاناة في السجون، كذلك عن الحقد والقهارة التي تلقاها من قبل الاستعمار الفرنسي الذي وعده بالحرية، لكن في الأخير لم يجد سوى قفص مغلق وهو بداخله يتعذب،ولا يرى سوى الدماء ولا يسمع سوى صراخ الشعب وهو يتعذب " وقد ترقب الشاعر بشغف وأمل كبيرين الحرية والانعتاق بعد الاستقلال فلم يجدها[1] حيث يقول الشاعر[2]:

خدعتني

وعدتني أشياء كالخيال

وعدتني جواهر السلطان

إلى أن يقول :

خدعتني

وعدتني حريتي

1 - عمر بوقرورة ، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 108.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 365.

فلم أجد سوى القفص

أن هده القصائد لسعد الله تعبر عن ما كان يحدث للشعب الجزائري أثناء الاستعمار،من خلال دخوله السجن .

وكل هده القصائد تعبر من مدى تأثر الشاعر بالشعب و معاناته، وهو يحاول في هذه المقاطع أن يشارك الشعب آلامه، ويقف معه في محنته حتى النهاية.

د/قصائد تعبر عن استقلال الجزائر واستعادة حريتها.

ومن الحرب القاسية ، والدماء المتطايرة ،العذاب والقهر، من الظلم، من اليـأس و العذاب إلى الاستقلال و الطمأنينة إلى استرجاع الكرامة و الحرية وذلك يظهر من خلال بعض قصائد سعد الله، التي تعبر عن هذه الفرحة ، عن استقلال الجزائر و نهوضها، والتقدم نحو الأمام ،فالجزائر عند سعد الله صفحة رائعة من الخلد ودنيا ثرية بالرؤى اليانعة و أنها لتستمد هده الروعة كلها من يدين عملاقتين تتلاقيان على عنق الغاصب،وقبضتين تشدان على نفسيته الجائعة يقول[1]:

بلادي التي تطلع الشمس فيها دماء تضيئا لربى اليانعة

دماء تقضي بلادي التي تلتقي قبضناها على عنق الغاصب الجائعة

بلادي الجزائر اذ تجتليها ترى الخلد في لوحة رائعة

هذه اللوحة الرائعة أطلت على الجزائر من خلال ربيع جديد حل بالجزائر الذي غنت له طلقات الرصاص ودقت قلوب الجرحى ومع الأمل وفرحة الشعب الجزائري في استعادة بلاده يقول سعد الله في هذا الصدد في قصيدته ربيع الجزائر[2].

من أغنان الرصاص

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، الجزائر الخالدة،ص 243.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 279.

ودقات قلب الجريح

وآمال فرحتنا الدافقة

سيصحو الربيع

وتشدو الطيور

أغاريدها الساحرة

إلى الصامدين

فهذا الربيع ربيع حب يسقى بدم الشهداء و هو لحن طويل للعذاب والسهر والليل الذي لا ينامه الشعب الجزائري يقول في نفس القصيدة :

ربيع الجزائر حب و دم

ولحن وليل طويل

وزمجرة فاصلة

يحمحم في الموقد الأزرق

هذه القصيدة قالها سنة1957 عبر فيها عن تفاؤله بالثورة التي ستنتصر على أعدائها وتخليد الشهداء[1]

فكان هذا الربيع معبرا عن نغمة النصر التي انتظرها الشعب طويلا،والتي عمت ربوع الوطن وكانت ترددها الجزائر في كل مكان وزمان فهي تعتبر فرحة عيدها الأول الذي انتظر سنين و أيام.حتى عم بالجزائر حيث يقول في قصيدته "الانتصار"[2]

1 - أنيسة بركات درار،أدب،ص125.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 363.

رددیها

نغمة النصر المجيد و انشريها

عبر آفاق عطاش لنشيدك

شربت كاس الخلاص الحر في فرحة عبدك

فهذه القصائد تعبيرا عن استقلال الجزائر وطلوع مس الحرية بها وعاش الشعب الجزائري مرفوع الرأس، ولاشيء ينزع منه بلده ووطنه الأخضر وستقام للشهداء الأبرار تيجان فخر وحب تشريفا وتمجيدا لهم

لأنهم ضحوا في سبيل هدا الوطن العزيز

وفي الأخير تمكن القول أن قصائد أبي القاسم سعد الله كلها قصائد وطنية حربية تحفيزية على القتال و الجهاد في سبيل الوطن الجزائر.

3-3 بعض جوانب جمالية النص الشعري في ديوان سعد الله:

أولا الموسيقى:يعتبر نقاد الأدب ودارسوه أن الموسيقى أهم العناصر في الشعر ولعل الوزن والقافية هما أكثر عناصر الموسيقى أهمية، وقد تتعدد عناصر هذه الموسيقى، إلا أنه يظل للوزن و القافية أهميتها الكبيرة.

فالموسيقى مجموعة من الوحدات الزمنية المنتظمة التي يمكن من خلالها تحديد وزن معين تفرضه الحالة النفسية للشاعر، فالتعريف بهذا المعنى الجامح يبرز القيمة الحقيقية للموسيقى من زاوية أخرى، باعتبارها وسيلة إيحائية أكبر منها حلية خارجية.

ويؤكد سليمان العيسى على أهميتها في الشعر بقوله:" بأنها عصب الكلام الجميل شعرا ونثرا..... تبلغ ذروتها في الشعر، و الذين لا يحسون بها، ولا يجدونها لا يملكون" [1] ونفهم من هذا بأن الموسيقى تمثل في جوهرها قالبا صارما بالغ الأحكام والدقة من مجموعة القواعد التي يقوم على أساسها بناء القصيدة وهذا ما يسوقنا إلى قول قد أتى بن جعفر بأنه:" أي الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى"[2] على اعتبار أن الموسيقى تركز على عنصرين أساسيين هما الوزن و القافية.

وموسيقى الشعر تنقسم إلى نوعين هما: الداخلية والخارجية أما الخارجية فتتمثل في الوزن والقافية، وهي بمثابة الإطار الفني الذي يجسد تجربة الشاعر، ويوافق طبيعتها من حزن وفرح.

فالوزن : هو مجموعة من التفعيلات التي تسمى (بحرا)، (وبحور الشعر) هي ستة عشر بحرا وضع الخليل أحمد الفراهيدي أصولها ، ثم وضع تلميذه الأخفش وزنا واحد أسماه " المتدارك" ومن هنا انتظمت الأوزان الشعرية ، وأصبحت الموسيقى الشعر محببة إلى كل الآذان إذا استقامت ومكرهة إذا اعوجت، وهذا مدعاة إلى أن يكون الشاعر إنما بخصائص هذا الفن من خلال الإعداد السليم له.[3]

أما القافية: فهي الكلمة الأخيرة من البيت وحركتها، فتمثل الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها بعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص ركنا من الوزن، وقد احتلت مكانا مهما في الشعر العربي حتى اشتهرت قصائد بقوافيها، فنسب إلى "الروي"وهو أبرز حروف القافية.

أ- الوزن في شعر سعد الله:

* **الوزن في الشعر العمودي:** لقد حدد معنى الوزن بأنه" مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت وقد كان هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية[4]، فالوزن هو نظـام من المحركات والسكنات يلتزمها

1 - صبحي محي الدين: مطارحات في فن القول،محاورات مع أدباء العصر، دار العومة،بيروت،لبنان ط3 ،1979،ص37.

2 - قدامى بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى،مكتبة الخانجي،القاهرة د.ط 1963،ص171.

3 - مثل لامية الشنفرى، سينية البحتري،بائية أبي تمام،ميمية المتنبي،وسينية شوقي....

4 - عبد الفتاح،صالح، عضوية الموسيقى في النص الشعري الحديث،مكتبة المنار، الأردن،د،ط1985،ص50.

الشاعر في بنائه الشعري ويسمى هذا النظام بالبحر، لأن الشاعر بإمكانه أن ينسج على منواله عددا لا يحصى من القصائد.

والوزن يتكون من وحدات صوتية خاصة يرمز إليها في علم العروض (بالمتحرك و الساكن) وهي بدورها تشكل ما ندعوه بالتفعيلات الشعرية وقد حددها الخليل بن أحمد الفراهيدي في ثماني تفعيلات[1].

والشاعر سعد الله اعتمد القصيدة العمودية، والتي شكلت نصف ديوانه وتبنى أثناء الدراسة لهذه القصائد العمودية أن نسبة 45,76%، جاءت على البحور التالية: الخفيف، الطويل،البسيط،الرجز،الكامل،الرمل، الوافر، المجتث ،المتقارب.

ولا نستطيع أن نجزم باعتبار بحر ما يستطيع التعبير عن عاطفة معينة أفضل من بحر آخر،ولكن قد يجد الشاعر في بحر معين إمكانية تطويعه للتعبير عن تجاربه المتنوعة وسلاسته للتعبير عن عواصفه وأحاسيسه.

وقد استخدم سعد الله تسعة أوزان في ديوانه" الزمن الأخضر"بالنسبة للقصائد العمودية وهذه نسب البحور حسب استعمالها:

الخفيف 13قصيدة بنسبة 23.63%.

الرمل 11قصيدة بنسبة 20%.

الكامل 7قصائد بنسبة 12.72%.

البسيط 06قصائد بنسبة 10.90%.

الطويل و المتقارب 05قصائدولكل منها بنسبة 09.09%.

1 - التفعيلات هي: فعولن،مفاعيلن،مفاعلتن،فاعلاتن،فاعن،مستفعلن،متفاعلن،مفعولات.

الوافر 13و المجتث 3قصائد لكل منها بنسبة 5.45%.

الرجز قصيدتان بنسبة 3.63%.

وقد تعامل سعد الله في القصيدة العمودية مع تسعة أبحر بشكل أساسي، كما هي مرتبة أعلاه ويبدو الشاعر محافظ وملتزما بالأصول العروضية كما في قصيدته (جلال الخلد)[1].

أقطف جنى الخلد و أمرح في خمائله

وأصدح على الغصن مع أشجى بلابله

فمنتهى الشعر من قيتار هادله

فمنتهى السحر من جفني عقائله

عرائس اللهو قد ماست مباحثه

وزهرة الأفق قد شعت لداخله.

وقد استعمل الشاعر بحر البسيط مع توظيف كل تفعيلاته الممكنة الحدوث وهي: (مستفعلن متفعلن فاعلن /أفعلن).

* الوزن في الشعر الحر:

على الرغم من النداءات التي رفعها رمضان حمود في العشرينيات من القرن العشرين للأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية ، والنهوض بالأدب العربي عن طريق الترجمة، فإن طابع القطيعة كان ولا يزال يفرض نفسه على الثقافة العربية والفرنسية في الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي لها وهذا ما جعل شكر التفعيلة في الجزائر يتأخر في ظهوره مقارنة بالمشرق العربي، فكانت بداياته متعثرة بعض الشيء عند شعرائنا الشباب الذين اتجهوا هذا الاتجاه متأثرين بنظرائهم المشارقة الذين سبقوهم على هذا النوع من الشعر.

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 79.

ويعد سعد الله من أوائل هؤلاء الشعراء[1] الذين استطاعوا السير في هذا الدرب، رغم غموضه محاولا تخطي الحواجز للدفع عن مكانة الشعر الجزائري كي يواكب نظيره في الشرق العربي ويضاهيه، وكان له ما أراد رفقة ثلثه من الشعراء الشباب.

وقد استخدم سعد الله ثمان أوزان شعرية في ديوانه " الزمن الأخضر" بالنسبة للقصائد الحرة وهذه نسب البحور حسب استعمالها:

السريع 8 قصائد بنسبة 13,79%.

الرمل 13 قصيدة بنسبة 22,41%.

الكامل 7 قصائد بنسبة 12,06%.

المجتث قصيدتان بنسبة 3,44%.

المتقارب 8 قصائد بنسبة 13,79%.

الوافر قصيدتان بنسبة 3,44%.

الرجز 13 قصيدة بنسبة 22,41%.

المتدارك 4قصائد بنسبة 6,89%.

وقد تعامل الشاعر مع ثماني بحور شعرية بشكل أساسي وقد استخدم بحر الرمل ولعله استفاد من إمكانياته التعبيرية " ففي الرمل نوع من الإنسانية و الإسترسال يجعله صالحا للتعبير عن العواطف الحادة غضبا كانت أم فرحا" [2] ففي قصيدة (الكفاح إلى النهاية)[3] يستعمل إمكانيات البحر باستعمال أغلب صيغ (فاعلاتن) نجتزىء منها مايلي:

1 - من الشعراء نذكر: ابو القاسم خمار،محمد الأخضر السائحي، محمد الصالح باوية.

2 - عياد شكري: موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة،القاهرة،ط1،1968،ص181.

3 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 284.

هذه أيامنا بين الصخور

فاعلاتن– فاعلاتن– فاعلان

حين فجرنا رؤانا لهبا

فاعلاتن–فاعلاتن–فعلن

إن تجربة الشعر الحر عاشت بدايتها بخطى مقيدة، إذ لم تستطع أن تتحرر من طابع الشعر التقليدي ولذا نجد القصائد الأولى لهذه التجربة، وإن تحررت من أسلوب الشطرين إلى التفعيلة لم يستطع أن تتحرر من الصيغة التقريرية التي منيت بها القصيدة الكلاسيكية في عهد انحطاطها يقول الشاعر سعد الله: كان حلما وإختمار

كان لحنا في السنين

أن نرى الأرض تثور

أرضنا بالذات، أرض الواعدين[1].

فنحن إذا غيبنا الوزن، بقيت الأسطر الشعرية نثرية علمية، لا تكاد تلتقي بلفظة شعرية أو لمحة خيالية" وتأتي لفظة بالذات وتكرارها لتؤكد أصالة الفقرات في الأسلوب العلمي التقريري"[2].

وهذا ما نجده أيضا في قصيدة (إلى المقصلة) حيث أن الشاعر مازال يقع في الأسلوب النثري العلمي بعد تغييب الوزن، كما في قول الشاعر أبو القاسم سعد الله:

وهذه حكاية قديمة[3].

تاريخها طويل

يعرفها الكبار والصغار

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 175.

2 - خرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث،ص 354.

3 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 229–230.

قد جددت حديثا

على يد التتار.....

أبطالها الذين أنشدوا النشيد

بالأمس عبر (ساحة الوفاق)

والشعراء لا يستخدمون الموسيقى في قصائدهم لغرض الطرب فقط، وإنما لتلافي النقص الحاصل في تعبيرهم،" ومهما يكن فالموسيقى عنصر أساسي في القصيدة أو في التجربة الشعرية وليست هي التي تؤثر فينا كل تأثيرها إنما تثيره معها الأحاسيس والمشاعر النفسية والتأملات العقلية و الخيال.[1]

ب- القافية:

تعد القافية مركز ثقل في الشعر، وعليه المعول في اكتمال نسبة البيت الشعري دلاليا وموسيقيا، ولذلك وجدنا القدماء يدعون إلى وحدة البيت الشعري.

وترسم قصيدة " طريقي"تطورا واضحا في التشكيل الموسيقي في القصيدة الجزائرية[2]، لأن سعد الله تعمد هذا التغيير وسعى إليه بغية الخروج عن الطريقة التقليدية التي استحوذت على اهتمامات الشعراء الجزائريين في الأغلب الأعم.

وقد تمثل هذا التطور في أن سعد الله حاول أن يقيم تشكيلا موسيقيا جديدا يخرج به إطار موسيقى الشعر العمودي وزنا وقافية، فقد أقامه على نظام التفعيلة لا على أساس البيت على النحو التالي:

1 - ضيف شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف ، القاهرة، مصر،ط1981،ص 151.

2 - محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث، ص 217،218.

يا رفيقي[1]

لا تلمني على مروقي

إذ أنا اخترت طريقي

فطريقي كالحياة

شائك الأهداف، مجهول السمات

عاصف الأرياح، وحشي النضال.

صاحب الشكوى وعر بيد الخيال.

وتقطيعها العروضي يكون على هذا النحو:/0/0//0/0 فاعلاتن

/0/0//0 /0/0//0 فاعلاتن ، فاعلاتن.

يستطيع الشاعر سعد الله التخلص من أسر القافية ونظامها، فقد اتبع في ذلك نظاما يلجأ فيه إلى الجمع في كل سطرين بقافية متشابهة على النحو التالي:

وطريقتي كالحياة [2]

شائك الأهداف، مجهول السمات

عاصف الأرياح، وحشي النضال

صاخب الشكوى، وعربيد الخيال.

قام الشاعر سعد الله بتغيير القافية من كل سطرين أو ثلاثة ضمن المقطوعة الشعرية متمما إياها بعبارة "طريقي"و" يا رفيقي"

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 137.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، نفس الصفحة.

وهو أثر من أثار نظام المقطوعات الذي شاع في الشعر الرومنسي ولاسيما عند المهجريين، كما انه لم يستطع الانفكاك من أسر القافية" والتي جعلت قصيدته هذه أشبه بقصائد المهجريين المتراوحة القوافي، ما يدل على أن سعد الله– وهو في دور التجريب– لم يزل يعتبر القافية عنصرا مهما في العمل الشعري، يوليه اعتبارا واضحا على حساب العناصر الفنية الأخرى"[1]إلا أن ما يغفر للشاعر كونها قصيدته الأولى التي صاغها على نظام التفعيلة.

وبعد تصفح دقيق لديوان الشاعر سعد الله إلى النموذج التالي:[2]

*/ القافية العمودية المتكررة.

*/ القافية العمودية المتعددة.

القافية الحرة :

*/ القافية الحرة المقطعية

*/ القافية الحرة المتغيرة

أولا: القافية العمودية :

*/ القافية العمودية المتكررة: وقد نظم سعد الله قصائده الأولى على نظام القافية العمودية المتكررة عبر كافة مقطع القصائد، أي على النهج الإتباعي بالتزام روي واحد على امتداد القصيدة كلها كما في: (رب اليوم), (شعاع الماضي)،(تاج العرب)،(ياروضة المجد)،(قيثارة الأنغام)،(أغاني الربيع)،(الحب الحلال)،(كائن الحياة)،(ملائكة الخلد)،(الطبيعة الغضبى).

*/ القافية العمودية المتعددة: وهذا مانجده في قصيدة (نشوة الروح)[3]:

أنت يا روعة الخلد شعاعي

1 - محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث، ص219.

2 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 55،56.

3 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 56.

ووجودي ومعبدي ويراعي

نشوة أنت في الطباع ولكن

لم لم تنثري الهوى بطباعي

.....

دائما ألمح الوجود بكيا

حالما بالجمال عذبا نديا

.....

قد بدا الشعر تائها بالجلال

إذا رأى الكون والها غير سائل

استعمل الشاعر حرف العين المشبعة بياء المد في البيتين الأولين ثم حرف الياء بالمد بعد ذلك وأخيرا لجأ إلى حرف اللام.

ثانيا: القافية الحرة :

*/ **القافية الحرة المقطعية:** وهذا النوع نجده في قصيدة (الأوراس)[1] حيث نجد القافية متغيرة من مقطع لآخر:

المقطع الأول:

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 249-250-251.

من حولك الصراع و الدمار

و النار تأكل الأحياء في الدوار

من حولك الدمار كالأنهار

المقطع الثاني:

عشناك في الحياة و المنى

تفاخر العصور و الدنا

بمجد كالتليد عندنا

المقطع الثالث :

فأين أنت يا شعارنا السحيق

لقد ظمأنا – يا مهيب للشروق.

فهاب الرعب، شبه حريق

المقطع الرابع :

لم لا تثور أيها الأنوف

وتبعث البركان كالحشوف

مديحي الأطفال في الكهوف

فقد استعمل سعد الله في هذه القصيدة أربع قوافي هي على التوالي:

حرف الراء، ثم النون بألف المد،ثم حرف القاف و أخيرا حرف الفاء وهذا التنوع في القافية يعبر عن مهارة الشاعر في توظيفها و التي أضفت جوا على القصيدة أبعدت الملل عن أسماعنا.

*/ القافية الحرة المتغيرة: وهذا النمط من القافية المتغيرة يقوم على استخدام العديد من القوافي في القصيدة الواحدة دونما انتظام محدد في استعمالها." فقد تشابك القوافي وتتداخل في القافية المتغيرة بحيث يستعمل الشاعر القافية ويتركها وقد يعو إليها ثانية بعد إن يستخدم قافية أخرى"[1] وهكذا دونما انتظام معين في استعمالها كما في قصيدة (طريقي):

ألمح الأطياف من حولي شوادي

للرؤى السكرى، لآلاف العباد

للربيع الحلو شوقا للزهور

للهوى الزخار بالذكرى وأنسام العطور

غير أني كلما حاولت وصلا

لم أجد قربي ظلا غير أعقاب الشموع

وغدارات الدموع

تتوالى في طريقي

يا رفيقتي

1 - قادري عمر يوسف، التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل و المضمون، دار هومة للطباعة والنشروالتوزيع الجزائر،د.ط، 1999،163.

إن هذا التنوع و الاضطراب في توظيف القوافي ينبني عن قلق نفسي عايشه الشاعر لحظة ميلاد القصيدة، خاصة وأنها أول قصائده الحرة التي صاغها سعد الله على نظام التفعيلة، وما يؤكد ذلك الألفاظ التي وظفها فيها مثل:(الأطياف،الرؤى،سكرى للهوى،أسنام، لم أجد) فكل هذه الألفاظ تدل على الضبابية و الاضطراب و الغموض،فتنوع القوافي بتنوع الحالة النفسية للشاعر.

3-4 مظاهر التجديد في شعر أبي القاسم سعد الله:

لقد أدت دعوة التجديد التي دعا إليها ميخائيل نعيمة وباقي المهجريين إلى محاولتهم كسر النظام الشعري، و الكتابة بالعامية أحيانا، لكن أغلب شعرهم كان فصيح رغم أن معظمهم كان يعاني من ضعف محصوله اللغوي، فتحول تقصيرهم هذا إلى دعوة للتجديد إلى قبول استعمالات لغوية فيها لحن وخروج عن النظام الفصيح، وهذا التساهل في اللغة ساعدهم عليه نزوعهم الرومانسي الذي يرفض القيد أيا كان مصدره ويميل إلى الحرية أيا كان منحاها، فأثروا اللغة اللينة الطبيعية التي تنقاد لصاحبها ولا تتمتع، ولو كان ذلك على حساب اللغة الفصيحة فتخلصت لغتهم من نبرتها الخطابية، وظلت عباراتهم لتعبر بصدق عن أعماق دوائهم[1].

أما شعراء الحادث المعاصرين-عندنا- فقد اقتفوا أثر نظرائهم الغربيين في نظرتهم إلى الشعر، ثم انطلقوا بعد ذلك في نشر هذا المفهوم على مستوى التنظير و الممارسة الفعلية كما هي العادة دائما.

فقد أدرك هؤلاء أن التطور الحاصل في حياة البشرية يتطلب حتما تجديدا في الشعر، فالشعر العمودي (القديم) لا يمكن أن يعبر عن التجارب الجديدة في الحياة لأن الشعر عندهم" كالتربة ..... مهما تبلغ به الخصوبة فهي عرضة للتشقق وخصوبتها مهددة دائما باستغلال يمتص حيويتها، فهي تحتاج إلى إنعاش متواصل حتى لا تصبح مجدبة عميقة"[2].

1 - ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، الغربال، دار العلم للملايين،م3،بيروت،د.ط، 1979، ص 406.

2 - محمد حمود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان، ط 1996،ص167.

وهذا مادفع بأدونيس إلى القول:" لقد انتهى عهد الكلمة– الغاية، وانتهى معه عهد تكون فيه القصيدة عمياء لفظية، أصبحت القصيدة عمياء شعورية ، وأقصد بالشعور هنا حالة كيانية يتوقد فيها الانفعال و الفكر، القصيدة إذن، تركيب جديد يتعرض فيه من زاوية القصيدة وبواسطة اللغة وضع الإنسان، وهذا يعني أن لغة الشعر ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة خلق"[1].

وهذا ما سنحاول الوقوف عنه في مظاهر التجديد عند سعد اللهو من المظاهر الفنية في صور سعد الله الحديثة حدة إحساسه ورغبته في إبراز هذا الإحساس الحاد،بأقصى ما يمكن من البيان و التأكيد، وتحقق هذا في بعض قصائده ببناء العبارات في الأبيات المتتابعة في نمط لغوي وبياني واحد، وقد تتضمن العبارات المتقاربة بعض المجاز أو الألفاظ الوجدانية الحديثة، وقد" يؤدي اعتماد الشاعر على صيغ الاستفهام والتعجب والتساؤل والنفي إلى علو النبرة و صخب الإيقاع"[2].

أ– **الإيقاع:** إن الإيقاع في الدرس العربي القديم لا يكاد يخرج عن مفهوم مطابقته للوزن، ذلك أن العلماء القدامى لم يتعمقوا الإيقاع، ولم يدركوا جوهره، فأهملوا الحركة الإيقاعية وركزوا على ارتباطه بالزمن" ولم يلحظ الدارسون إلا من خلال الموسيقى والوزن الشعري مع أنه كان من أوضح في العمارة و الزخرفة الإسلامية، كما كان الأساس الذي قامت عليه علوم البلاغة و الفن اللغوي"[3].

أما بالنسبة للإيقاع عند سعد الله فهو بمعنى" الجريان" التدفق وهو في نظره يعبر عن المسافة الجمالية ويرمي بصفة عامة على التواتر المتتابع بين حالتي الصمت والصوت أو الحركة

1 - أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار البعث دمشق،سوريا،د.ط ، تشرين 2004، ص 151–152.

2 - القط: عبد القادر (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2،1981، ص 112.

3 - إسماعيل عز الدين: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1992 ص 282.

والسكون، أو القوة و الضعف أو الضعف و اللين، أو القصر و الطول، أو الإسراع أو التوتر و الاسترخاء، حيث يقول سعد الله في قصيدته " الصخرة"[1].

أي إصرار وبأس

أي درس

توج المستقبل الحر وعفى قبر أمس

وأزاح القيم عن آفاق شعبي.

أي درس

زعزع المجد الفرنسي

وأثار الرعب في السنين وبناه بنحس

كلما جاء إليه حطه الشعب ببأس

أي درس

أسقط الأقزام في حكم كرسي

ورمى الطغيان في ظلمة رمس

ولتصوير الشاعر سعد الله، روح المقاومة و التحدي اللذين يتمتع بهما الشعب الجزائري وقد صوره في هيئة "صخرة" تتحطم عليها كل أماني الاستعمار الفرنسي الغاشم، فكان هذا التصور دافعا للشاعر لاختيار ألفاظ قوية حادة توحي بهذه المعاني، وقد وقع اختيار حرف السين الذي يحتوي على جرس موسيقي صامت حاد، كما نجد الإيقاع الصوتي الناجم عن الياء،والهاء الممدودتين في بنية (يا،لها،هنا)

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 296.

يقول سعد الله في قصيدته (الصورة)[1]:

وحدي هنا

في صورة قلبي لها صندوق سر

مغلق محجبا إلا لها

في صورة كلوح عبقري

كطلقة النبي

مرسومة دائما اتجاه ناظري

أعماقها رحابة الوجود

ألوانها منى مزخرفة

لها عينان ....منبعا غرام

أغوص فيهما إلى الأعماق

لكنني ظمآن دائما

ياصورتي

أنت المثال الصارخ القيم

في خلوتي

وهذا المد و الاستطالة و الامتداد الملائمين للمناجاة فضلا عما يحدثه الإشباع في (عبقري، ناظري ، خلوتي) و التسكين في (سر الوجود، مزخرفة، غرام ، أعماق).

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 331.

ب- التشبيه:

قد استبدل أبو القاسم سعد الله الصورة القديمة بالصورة الحديثة وقام بتوظيفهما في قصائده الحرة، فمثلا التشبيه، و التشبيه في اللغة من الشبه والتشبه و الشبيه: المثل و الجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء أي ماثله، ويقال في كلام العرب، من أشبه أباه فما ظلم، وأشبه الرجل أمه: أي أصبح عاجزا ضعيفا، و المتشابهات من الأمور: المتماثلات ، و التشبيه هو التمثيل"[1].

وقد وظف سعد الله التشبيه في ديوانه بصورة جلية ومن أنواع التشبيه نجد:

*/ **التشبيه المرسل (المجمل):** و هو التشبيه الذي يذكر فيه الأداة ويحذف منه وجه الشبه، لأن في حذف وجه الشبه تعطي الأسلوب جمالا وبلاغة أكثر من وجوده.

1 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص221.

وقد كثر استعمال سعد الله لأداة (الكاف) حيث نجد ذلك في كثير من جمله الشعرية فمثلا (كندى الشهد، كصدى الحب) ، (كالظل بالحنين) ،(كالنور يغشاك)، (كالبراكين،عطور وطير، كالمنام، كبسمة،كشاعر، كطائر).

كما استعمل أبو القاسم سعد الله أداة التشبيه "كأن" ونجد ذلك في كثير من الجمل الشعرية(كأنك سيف العجز تستل شارقا) (كأن سعدكم)، (فكأنه أطياف،فكأنهما قبلات)،(كأنه شهاب)،(كأنه جنادل)،(كأنها جزيرة غناء).أما بالنسبة لاستعماله لأداة التشبيه "كما" فيبدوا أقل استعمالا إلا في قصيدة " الثائر الأسير)[1] ، في قوله:

كما فديت الجزائر

بدمك النضاح

.....

وعدت إليهم خرابا

كما يشب الحريق.

***/ التشبيه البليغ:**

لقد استخدم أبو القاسم سعد الله التشبيه البليغ في أكثر من موضوع: كقوله: (هي الأخطبوط) ،(الأرض عزف)،(الليل عياء)،(أنت الجحيم).

ج- الإستعارة:

إن الإستعارة كضرب من ضروب التصوير يدفعنا إلى مقاربة اصطلاح المجاز، على اعتبار أن الإستعارة نوع من المجاز اللغوي" و المجاز مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه"[2]، وعليه

1 - إبن منظور، لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي،دار لسان العرب،د،ط،ج2،ص125،166.

2 - مكبري، شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد(علم البيان)، دار العلم للملايين، بيروت، ط7،2001،ص67.

فالإستعارة "تشكل وجها من وجوه المجاز اللغوي لعلاقة هي المتشابه مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة تمنع إرادة المعنى الحقيقي"[1].

" فسعد الله بالرغم من طموحه التجديدي هذا إحتفظ بسمة من الوضوح و الجلاء في صورة الشعرية، يوفل في الرمزية التي عرف بها بعض المجددين في المشرق العربي التي بلغت ذروتها عند أدونيس"[2].ومن نماذج الصورة الإستعارة التي وظفها سعد الله في ديوانه: قصيدة " عواصف"[3].

أثارت الرياح منذ عام

عواصف حمقاء

.....

وكانت العواصف الهوجاء

محبوبة الحياة و القلوب

محمرة الشفاه و النيوب

فقد شبه الرياح وعواصفها بإنسان أحمق، شفتاه وأنيابه حمراء وهي كناية عن الغضب، وهي دلالة على ثورة التحرير المباركة التي عصفت بالمستعمر الفرنسي.

هذا هو سعد الله من خلال ديوانه " الزمن الأخضر" شاعرا في انتمائه لزمن شعري وفي عموديته المحدثة وحداثة العمودية وفي قصيدة التفعيلة، وهو يبني قصيدته بناءا فنيا محكما مع طول نفس يدل على باشر في اللغة العربية المفردة وتراكيب حيث تتدفق في شعره المعاني الأصيلة.

1 - المرجع نفسه ص 101.

2 - خرفي،صالح: الشعر الجزائري الحديث، ص 356.

3 - أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر ، ص 253.

الخاتمة

تناولنا في هذا البحث موضوع الثورة الجزائرية ، و هو موضوع هام بالنسبة لبلادنا التي قاست قرنا و عشرات من السينين الشداد تحت سيطرة الاستعمار الظالم ، و ضحت بمليون و نصف المليون الشهيد من أبنائها في سبيل حريتها و استقلالها وعزتها،والخروج من دائرة التخلف و الأمية الآتي نشرها المستعمر في أرجاء البلاد.

و لقد خصصنا بحثنا هذا " الثورة الجزائرية " في شعر ابو القاسم سعد الله الذي يعتبر لسان الأمة و مصور لأمانيها و ألامها و عبر فيها عن الموضوعات الاجتماعية والقومية و الوطنية ، كما أن شعر أبو القاسم سعد الله قام بتوعية الجماهير و تنوير الأذهان فكان يشحن الأفراد بطاقات من العزة و الإحساس القومي و يبث فيهم الروح الوطنية و يلهب حماسهم للاستعداد الثوري .

كما نا الشاعر أبو القاسم سعد الله كان من الشعراء المجددين فقد حطم نظام القافية و اتبع أوزانا جديدة كما انه جدد في أسلوب الكتابة في مادتها شكلا و مضمونا ، كما انه تميز بحس مرهف ساعده على الإتيان بشعر جيد و قد عالج الموضوعات القريبة من حياة الإنسان الجزائري و واقع المجتمع الذي يعيش فيه . و قد اعتبر الشعر أغزر مادة أدبية و أتقنها فنا و أكثرها تأثيرا من الفنون الأدبية الأخرى و خاصة ان الثورة فتحت أمام الأدباء و الشعراء آفاقا واسعة سهلت لهم الانطلاق من قيود التخلف و الجمود فعرفوا تنوعا في الإنتاج و النشاط.

المصـــادر

1) -أبو القاسم سعد الله ، ديوان الزمن الأخضر، دار المعرفة، ط3، الجزائر، 2010.

المراجـــع

1) – إبراهيم رماني : أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب للطباعة والنشر، د.ط.

2) – إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون

المطبعة، الرغاية، الجزائر، د.ط.

3) - إبن منظور : لسان العرب ، قدم له عبد الله العلا يلي ، دار لسان العرب، د.ط.ج2.

4) - أدو نيس : مقدمة للشعر العربي ، دار البعث دمشق، د.ط تشرين، 2004.

5) - العربي دحو : مقاربات في ديوان العرب الجزائري، دار الهدى للطباعة و النشر، ط2.

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط.

6) - أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر–1945 حي الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،د،ط

7)– أنور الجندي : الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، مطابع الدار القومية القاهرة، .د.ط 1975.

8)– الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر، الجزء الثاني، منشورات السائحـــي، الجزائر،ط2.

9)- الوناس شعباني : تطور الشعر، الجزائر، منذ 1945-1980، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط ،1988.

10) - بشير بلاح : تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989 الجزء الأول ، دار المعرفة د.ط.

11) - بكري شيخ أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان)، دار العلم للملايين بيروت ط7. 2001.

12) - بلقاسم بن عبد الله : شاعر مجد و ثورة حوارات و ذكريات، مؤسسة مفدي زكريا، ط2،الجزائر 2003.

13) - جمال قنان : قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، المتحف الوطني للمجاهدين، .د.ط.

14) - حنافا خوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل بيروت، د.ط.

15) - سعد الله، أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الإحتلال، عالم المعرفة، طبعة خاصة، 2009.

16) - سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، دار البصائر، الجزائر، د.ط.

17) - سعد الله، أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية، عالم المعرفة، الجزائر،ج3، ط3، 2009.

18) - سعد الله،مجادلة : الآخر،دار الغرب الإسلامي ،ط1،

19) - سعد الله أبو القاسم : تجارب في الأدب والرحلة،عالم المعرفة،ط3.

20) – شريبط احمد شريبط : دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية د.ط2007.

21) – شوقي ضيف : في النقد الأدبي،دار المعارف،القاهرة ،مصر ،ط6،1981

22) – صالح خرفي : الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط.1984.

23) – صالح عبد الفتاح : عضوية الموسيقى في النص الشعري الحديث، مكتبة المنار، د.ط.1985.

24) – عبد القادر القط : الإتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية بيروت،ط2.

25) – عبد الله الركيبي : الأوراس في الشعر العربي المعاصر و دراسات أخرى، د.ط.

26) – عبد الله الركيبي : ذكريات من الثورة الجزائرية 1954–1958 المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط،الجزائر.

27) – عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة،د.ط، 1992.

28) – عمر بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب للطباعة و النشر، طبعة خاصة،2010.

29) – عياد شكري : موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة،ط 1 ،1968.

30) – قدامى بن جعفر : نقد الشعر تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ط.1963.

31) – محمد الحسن فضلاء : من علماء الإصلاح في الجزائر، طبع على نفقة الصندوق الوطنية لترقية الآداب و تطويرها التابع لوزارة الإتصال و الثقافة الجزء الثالث2002 .

32) – محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، سحب الطباعة الشعبية للجيش الجزائري د.ط.2007.

33) – محمد محمود : الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانا و تظاهرها الشركة العالمية للكتاب لبنان ط1. 1996 .

34) – محي الدين صبحي : مطارحات في الفن و القول، محاورات مع أدباء دار العومة، بيروت،ط3 1973.

35) – ميخائيل نعيمة : المجموعة الكاملة ، الغربال ، دار العلم للملايين ،م3،بيروت .د.ط.1979.

36) – مفدي زكرياء : اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع .د.ط. الجزائر.

37) – يوسف قادي : التجربة الشعرية عند فدوى طوقان، تبيين الشكل و المضمون، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر،د.ط ،1995.

الموقع الإلكتروني

38)-Path ways –news.com/news/n Detaits .aspx ? mid : 104250.

فهرس الموضوعات

المقدمة.

المدخل : علاقة التاريخ بالأدب.....1

1-1- إحتلال فرنسا في الجزائر 2

1-2- الأساليب التي اتبعتها فرنسا لاحتلال الجزائر.....3

1-3- مجازر فرنسا في الجزائر (مجازر الثامن ماي المشؤوم).....4

1-4- اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 7

الفصل الأول : الأدب و الثورة 9

2-1- الثورةالجزائرية في الأدب عموما و في الشعر بالخصوص 10

أ - شعر الانطواء.....17

ب- شعر الدعوة.....17

ج- شعر اليقظة.....18

د- شعر الثورة 21

2-2- حياة الشاعر 22

* توطئه.....22

أ-مولده و نشأته و تعلمه 22

ب- نشاطه و عمله 24

ج- مؤلفاته.....25

دالظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية 25

1-البواعث السياسية.....26

2-البواعث الاجتماعية.....27

3-البواعث الاقتصادية.....28

2-3- تقديم أعماله الشعرية 30

- بين يدي الديوان "الزمن الأخضر" 30

الفصل الثاني : تجليات الثورة في شعر أبي القاسم سعد الله 32
3-1- تجليات الثورة في ديوان سعد الله 33
أ- رد فعل فرنسا من هده الثورة.....36
ب- حادثة المروحة.....36
ج- قيم الشعب بالثورة
المسلحة.....37
3-2- أهم القضايا التي تناولها في شعره 44
.
أ- قصائد يصف مكافحة الشعب أثناء الثورة و كدا معاناته.....44
ب- قصائد تتعلق بالحب و الثورة.....50
ج- قصائد تتعلق بالسجون التي ذاق فيها الشعب الجزائري مرارة العذاب.....56
د- قصائد تعبر عن فرحة الشعب الجزائري باستقلال بلاده.....60
3-3- بعض جوانب جمالية النص الشعري في ديوان سعد الله. 63
أولا :الموسيقى 63
أ- الوزن في شعر سعد الله.....64
ب- القافية 69
3-4- مظاهر التجديد في شعر أبي القاسم سعد الله.....74
أ- الإيقاع.....76
ب- التشبيه.....79
* التشبيه المرسل (المجمل).....79
*التشبيه البليغ.....80
ج-الإستعارة.....80
- الخاتمة

- قائمة المصادر و المراجع.